

مَصْنَفَاتُ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ

(الطبعة ١٣٤٢ هـ)

٤٩



1000th ANNIVERSARY
INTERNATIONAL CONGRESS
OF (SHEIKH MOFEED)

المصنفات العكبرية

المؤتمر العالمي بمناسبة الألفية لوفاء الشيخ المفيد



المسئاة في العکبری

تألیف

الإمام الشیخ المفید
محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم
أبي عبد الله، العکبري، البغدادي

(٢٣٦ - ٤١٣ هـ)

المسائل العكبرية = المسائل الحاجبية	الكتاب :
الشيخ المفيد (ره)	المؤلف :
علي أكبر الاهي الخراساني	تحقيق :
الأولى	الطبعة :
١٤١٣ هـ ق	التاريخ :
المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد	الناشر :
مهر - قم	المطبعة :
٢٠٠٠	الكمية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وخير الصّلاة والسّلام على رسوله المصطفى
محّم وآله الطيّبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.
وبعد: لقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالسؤال عمّا لا يعلمون، فقال مكرراً:
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^١. لذلك ترى المسلمين في
الصدر الأوّل كانوا يسألون الرسول صلّى الله عليه وآله عمّا لا يعلمون وعمّا يشبهه
عليهم، وهذا ما نجد مصاديقه في القرآن الكريم من خلال كلمة «يسألونك»،
حيث وردت هذه الصيغة في السؤال عن مختلف الظواهر، كالسؤال عن الأحكام
الشرعية المتعلقة بالأهلة والإنفاق والقتال والخمر والميسر واليتامى والمحيض
والأنفال:

- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾ سورة البقرة (٢): ١٨٩
- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ...﴾ سورة البقرة (٢): ٢١٥
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...﴾ سورة البقرة (٢): ٢١٧
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ...﴾ سورة البقرة (٢): ٢١٩
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ...﴾ سورة البقرة (٢): ٢١٩
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ...﴾ سورة البقرة (٢): ٢٢٠

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيْضِ قُلْ هُوَ أَذَى...﴾^١ سورة البقرة (٢): ٢٢٢

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ...﴾ سورة الأنفال (٨): ١

كما وردت الصيغة المذكورة في السؤال عن الظواهر الطبيعيّة كالجبال، وعن قصص بعض الشخصيات الغابرة مثل ذي القرنين، وعن حقيقة الروح وعن قيام الساعة:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا...﴾ سورة طه (٢٠): ١٠٥

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا...﴾ سورة الكهف (١٨): ٨٣

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...﴾ سورة الإسراء (١٧): ٨٥

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي...﴾ سورة الأعراف (٧): ١٨٧

ولما استشكل بعض الصحابة قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^٢، وقالوا: أينا لم يظلم؟ بين لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن المراد بالظلم الشرك، واستدل بقوله سبحانه في آية أخرى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^٣.

وإذا تجاوزنا صدر الإسلام، نجد أن أهل الذكر الذين أمر الله تعالى بتوجيه

١ - اعلم أنّه تعالى جمع في هذا الموضع ستّة من الأسئلة، فذكر الثلاثة الأولى بغير الواو، وذكر الثلاثة الأخيرة بالواو، والسبب أن سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة، فلم يؤت فيها بحرف العطف، لأنّ كل واحد من تلك السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن المسائل الثلاثة الأخيرة في وقت واحد، فجاء بحرف الجمع لذلك، كأنه قيل: يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا.

٢ - سورة الأنعام (٦): ٨٢.

٣ - سورة لقمان (٣١): ١٣.

٤ - في رحاب السنّة: ١٠، وفي مجمع البيان (٣٢٧/٤): روي عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت هذه الآية شقّ على الناس، وقالوا: يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: عليه وآله: إنه ليس الذي تعتون، ألم تستمعوا إلى ما قال العبد الصالح: ﴿يَا بَنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

الأسئلة إليهم وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، يتكفلون بالإجابة على مختلف الأسئلة التي كانت ترد إليهم من الأصحاب أو من الأعداء أيضاً.

وإذا انتقلنا إلى عصر الغيبة، نجد أنّ الفقهاء والمتكلمين وهم النواب عن أهل الذكر يتكفلون أيضاً بالإجابة على الأسئلة التي تثار أمامهم، حيث ألفوا رسائل وكتباً تتناول أسئلة الآخرين والإجابة عليها. وقد اتخذ تأليف هذه الرسائل والكتب «عناوين» منتزعة من نفس المادة المتصلة بالسؤال) والجواب) عن الأمور الشرعية وغيرها، فجاءت هذه الرسائل والكتب تحمل عناوين مثل (السؤال والجواب) أو (السؤالات والجوابات) أو (الأسئلة والأجوبة) أو غيرها.

وبماكاننا أن تلقى نظرة سريعة على موسوعة العلامة الطهراني التي ذكرت مصنفات علمائنا في هذا الميدان لنجدها شاهداً على ما نقول، وفي هذا الصدد يوضح صاحب الموسوعة الملابس التي تكتنف تأليف هذه الرسائل والكتب من حيث الأسئلة وأجوبتها، فيقول:

«إذا علم ان الكتاب في جواب شخص خاص، أو في جواب اعتراض معين، أو أنه جواب عن سؤال مخصوص، أو عن شبهة معلومة، أو أنه جواب عن مسألة مخصوصة، أو عن مسائل متعددة كما هو الشائع من إلقاء المسألة الواحدة، أو المسائل من القرب، أو من البلاد البعيدة إلى العلماء وهم يكتبون جواباتها بغير عنوان خاص، أو علم أنه جواب رسالة أو كتاب، أو مكتوب، يصح أن يعبر عنه بالجواب المضاف إلى ما يعلم من إحدى هذه الأمور»^١.

واليك نماذج من تلك العناوين التي أوردها العلامة الطهراني:
(الأجوبة...) ^٢.

١ - الذريعة ١٧١/٥.

٢ - الذريعة ٢٦٧/١ - ٢٧٨.

(جواب... أو جوابات...)^١.

(السؤال والجواب أو سؤال وجواب)^٢.

(المسائل... أو المسائل والجوابات)^٣.

(مسألة...)^٤.

حيث نرى أنه ذكر تحت هذه العناوين مئات من الكتب، التي دوّن فيها المصنّف نفسه أو أمر من دوّن فيها مجموع السّؤالات أو الاستفتاءات التي ألقى إليه على الدّفعات التدريجيّة وما كتبه من جواباتها في أوقات متطاولة فإنّه بعد التدوين في مجلّد يسمّى باحد هذه العناوين^٥.

وفي ضوء هذه الحقيقة التي ذكرناها عن المسائل وأجوبتها، نجد أنّ واحداً من أكبر فقهاء الطائفة ومتكلميها وهو الشيخ المفيد يتكفّل بالإجابة على مختلف الأسئلة، ومنها أجوبة المسائل الحاجيّة أو العُكُبريّة وهي أجوبة كتبها الشيخ لأحد وخمسين سؤالاً سألها الحاجب أبو الليث بن سراج الأواني، الذي دعا له الشيخ بطول البقاء ودوام التوفيق.

وأكثر ما فيها السؤال عن معاني آيات وأحاديث وتوجيهها، ودفع ما ورد عند السائل حولها من شبهات. وفيها مجموعة من الأسئلة المرتبطة بالنبوة والإمامة وشؤونهما.

ويستشفّ من نمط بعض الأسئلة وكذا من جوابات الشيخ أنّ السائل كان ممّن تعمّد تنظيمها وأراد بها الإلزام، لا مجرد الاستفسار والمعرفة. وقد تصدّى الشيخ للإجابة عنها بكلّ جلاء وقوة، مع حسن البيان وقوة الأداء، كما هو المعهود في أجوبته.

١ - الذريعة ١٧٢/٥ - ٢٤٠.

٢ - الذريعة ٢٤١/١٢ - ٢٥١.

٣ - الذريعة ٣٢٩/٢٠ - ٣٧٣.

٤ - الذريعة ٣٨٢/٢٠ - ٣٩٨.

٥ - انظر الذريعة ٢١٣/٥.

الكتاب وعنوانه:

الكتاب يشتمل على إحدى وخمسين مسألة كلامية، عن الآيات المتشابهة والأحاديث المشككة، سأل الحاحب أبو الليث بن سراج شرحها وبيانها، فأجاب عنها الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى سنة ٤١٣ هـ والذي مدحه الإمام الغائب المنتظر والحجة الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف ورثا عليه بعد موته وقال:

لا صَوْتُ الناعي لفقدك آتَه يوم على آل الرسول عظيم
إن كنت قد عُيِّيت في جدث الثرى فالعلم والتوحيد فيك مقيم^١
والكتاب نسب تارةً إلى السائل فقل: «المسائل الحاجبية»^٢ و«جوابات
المسائل الحاجبية»^٣ و«أجوبة المسائل الحاجبية»^٤ و«جوابات أبي الليث
الأواني»^٥.

وتارةً نسب إلى المسؤول عنه، فقل: «المسائل العكبرية»^٦ و«جوابات
المسائل العكبرية»^٧.

وتارةً إلى عدد الأسئلة، فقل: «جوابات الإحدى والخمسين مسألة»^٨ و
«أجوبة المسائل الإحدى والخمسين»^٩.

وقد ذكر بعض تلامذة العلامة المجلسي وهو المولي الجليل الميرزا

١ - بحار الانوار ١١٠/١٦٥.

٢ - الذريعة ٢٠/٣٤٣.

٣ - الذريعة ٥/٢١٩.

٤ - النسخة المحفوظة بمكتبة آية الله الحكيم وهي التي جعلناها أصلاً.

٥ - رجال النجاشي ٤٠٠، والذريعة ٥/١٩٨.

٦ - الذريعة ٢٠/٣٥٨.

٧ - الذريعة ٥/٢٢٨.

٨ - الذريعة ٥/١٩٨.

٩ - بحار الانوار ١١٠/١٦٥ و١٦٧.

عبدالله الأفندي الاصفهاني صاحب «رياض العلماء وحياض الفضلاء» المتوفى سنة ١١٣٠ هـ، في رسالته إلى العلامة المجلسي، المندرجة بعينها في آخر إجازات بحار الانوار بعنوان: «خاتمة فيها مطالب عديدة لبعض أذكيا تلامذتنا، تناسب هذا المقام وبه نختم الكلام» ما نصّه:

... إنّ فهرست الكتب التي ينبغي أن تلحق ببحار الانوار على حسب ما أمرتم به هي هذه:

كتاب المزار... وأجوبة المسائل الإحدى والخمسين، وجوابات المسائل السروية، وجوابات المسائل العكبرية، كلّها للشيخ المفيد، ممدوح صاحب الزمان عليه صلوات الرحيم الرحمان...

وأجوبة المسائل الإحدى والخمسين هي التي اشتريتها لكم لا زالت همّتكم عالية، والسائل عنها رجل كان يعرف بالحاجب، وكان مكتوباً في ظهرها أنّها للشيخ، ولكنكم نسبتموها إلى المفيد(ره)، وعلامة تلك المسائل أنّها مع كتاب شهاب الأخبار مجلّدة. وجواب المسائل السروية والعكبرية نقلتم عنها في مواضع من البحار... إلى آخره^١.

وهذا الكلام من الأفندي صريح في أنّ «جوابات المسائل العكبرية» غير «أجوبة المسائل الإحدى والخمسين»^٢، وهو سهو منه، ولعلّ منشأه أنّ الكتاب لم يضع له الشيخ المفيد اسماً خاصاً، فانتزع الآخرون له عناوين متنوعة - كما ذكرنا - والتبس الأمر على أمثال الأفندي. فإنّ كثيراً من مصنّفي الشيعة - كما قال العلامة الطهراني، قد بلغوا من تواضع النفس، وخضوع الجوانح، وخلوص النيات، حدّاً لا يرون أنفسهم شيئاً قابلاً للذكر والإشارة، ولا يحسبون تصانيفهم مع كونها جيّدة قيمة كتاباً لاثقاً بالعنوان والتسمية، فبقيت الكتب بعد عصر المصنّفين بغير اسم

١ - بحار الانوار ١٦٥/١١٠ و١٦٧.

٢ - راجع الذريعة ١٩٨/٥.

خاص يدعى به، فمست الحاجة إلى أن يشار إليها بعنوان ينطبق عليها.^١
ومما يدل على وحدة الكتاب ما ذكره العلامة الخوانساري: وكذا كتاب
«أجوبة المسائل الاحدى والخمسين» فإن المراد به هو كتابه المعروف بـ«المسائل
الحاجبية» وهو في أجوبة اشكالات وشبهات في معاني بعض الآيات والروايات
المتشابهات على عدد الاحدى والخمسين، عرضها عليه وسأله عنها حاجب
خليفة ذلك العصر، كما يستفاد من ديباجة ذلك الكتاب، وفيه فوائد لا تحصى،
وغلط من نسبه إلى سيدنا المرتضى رحمه الله فليتقن ولا يغفل.^٢

منهج التحقيق:

أ - مقابلة النسخ:

قد حقّقناها اعتماداً على النسخ التالية:

١ - النسخة المحفوظة بمكتبة آية الله الحكيم العامّة، ضمن المجموعة
٤٣٦ بخطّ محمّد بن الشيخ طاهر السماوي، مكتوبة في سنة ١٣٣٥ هـ، تقع في
٣١ ورقة. وهي نسخة كاملة، مقرّوة الخط، خالية من الأخطاء والسقط تقريباً،
ولذلك جعلناها «الأصل».

٢ - النسخة المحفوظة بمكتبة آية الله الحكيم العامّة أيضاً، ضمن
المجموعة ١٠٨٧، بخطّ حاجي آقا شيرازي نمازي، مكتوبة في سنة ١٣٢٧ هـ
وهي نسخة كاملة، حسنة الخط، قليلة الخطأ، نادرة السقط.

رمزها: حش

٣ - النسخة المحفوظة في المكتبة الرضوية - مشهد، برقم ٧٧٢٢، بخطّ
محمد حسين بن زين العابدين الأرموي، مكتوبة في سنة ١٣٥٢ هـ، وهي نسخة

١ - الذريعة ١٧١/٥.

٢ - روضات الجنات ١٥٥/٦.

كاملة، جيّدة الخطّ، قليلة الأخطاء والسقط.

رمزها: رض

٤ - النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية - طهران، ضمن المجموعة ١٩٢٧/ع مكتوبة في سنة ١١١٦ هـ. وهي نسخة جيّدة، إلّا أنّه سقط منها أربع عشر مسألة، من المسألة السابعة والثلاثين إلى المسألة الحادية والخمسين.

رمزها: مل

٥ - النسخة المحفوظة بمكتبة آية الله المرعشي - قم، برقم ٤ ضمن المجموعة ٣٦٩٤، مكتوبة في سنة ١٠٥٦ هـ. وهي نسخة ناقصة، كثيرة السقط والغلط. رمزها: مر

٦ - النسخة المحفوظة بالمكتبة الرضوية - مشهد، برقم ٢٤٢٨، وهي نسخة ناقصة، كثيرة السقط والخطأ.

رمزها: رض ٢

وبعد مراجعة هذه النسخ ومقابلتها، فقد جعلنا النسخة الأولى أصلاً، لأنها تمتاز على بقية النسخ بالكمال، وقلة الأخطاء والسقط، واعتمدنا عليها في عملنا، وأشرنا إلى اختلاف النسخ في الهامش، إلّا إذا كان الموجود في الأصل لا يتلاءم مع النصّ أو السياق، والعبارة الأخرى أقرب إلى الصّحّة، ففي هذه الحالة جعلنا العبارة الصحيحة في المتن، مع الإشارة في الهامش إلى ما كان موجوداً في الأصل. كما ملأنا موارد السقط من هذه النسخة - على قلّتها - بما جاء في باقي النسخ أو بعضها، مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

وأما ما حدث من سقط في بعض النسخ - وهو كثير - فلم نشر في الهامش، إلّا إلى ما ينبغي الإشارة إليه. كما لم نشر إلى كلّ ما وقع من الأخطاء ففي باقي النسخ، إلّا في موارد قليلة.

وقد اهتمنا الإشارة إلى ما اختلفت فيه النسخ في تذكير الكلمة وتأنيتها، أو تعريفها وتنكيرها وأمثال ذلك وما تضمّنته من الأخطاء اللغوية والإعرابية و

الإملائية، إلا في موارد نادرة. فأوردنا النصّ مطابقاً لما تقتضيه القواعد الأدبية والإملائية، المعمول بها حالياً.

كما أشرنا في نهاية كل صفحة من المخطوطة إلى رقم الورقة، ورمزنا إلى وجه الورقة بالحرف (و) وإلى ظهرها بالحرف (ظ)، مثل [٢ و] [٢ ظ] حيث أنّ العدد يشير إلى رقم ورقة المخطوطة، والحرف (و) إلى وجه الورقة، والحرف (ظ) يشير إلى ظهر الورقة.

وبعد الانتهاء من التصحيح والتحقيق ظفرنا بثلاث نسخ من هذا الكتاب، نرجو أن نفيد منها في المستقبل، وهي كما يلي:

١ - النسخة المحفوظة بالمكتبة الآستانة المعصومية - قم، ضمن المجموعة ٨٧، الرسالة السادسة، مكتوبة في سنة ١٣١٩ هـ، بخط مهدي بن علي رضا القمي.

٢ - النسخة المحفوظة بمكتبة جامعة طهران، ضمن المجموعة ٢٣١٩، الرسالة الثانية.

٣ - النسخة المحفوظة بالمكتبة الرضوية - مشهد، ضمن المجموعة ١٢٨٥١، الرسالة الرابعة، مكتوبة في سنة ١١٢٦ هـ، وهي نسخة ناقصة.

ب: تخريج الآيات القرآنية، وإثبات رقمها واسم السورة ورقمها في الهامش.

ج: تخريج الأحاديث والآثار التي أوردها المصنّف، من مصادر الفريقين المعتبرة فثبتنا الأحاديث كما وردت فيها - لا كما وردت في نسخ الكتاب - في الهامش، نظراً إلى أنّ هذه الكتب قد طبعت غالباً بتحقيق العلماء، فهي أقرب إلى الصواب.

د: وضعنا قائمة المصادر التي اعتمدناها في تحقيق الكتاب وهي كما يلي:

مصادر التحقيق:

- القرآن الكريم.

- الاحتجاج، لاحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، أفسست على الطبعة الأولى، نشر المرتضى - مشهد، ١٤٠٣ هـ.

- الاختصاص، المنسوب إلى الشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان، المتوفى سنة ٤١٣ هـ، تصحيح علي أكبر الغفاري منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٢ هـ.

- الارشاد، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، المتوفى سنة ٤١٣ هـ تصحيح السيد كاظم الموسوي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٧ هـ.

- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار (ع)، للعلامة المحدث محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، المتوفى سنة ١١١٠ هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ.

- بصائر الدرجات في فضائل آل محمد (ع)، للمحدث الجليل أبي جعفر محمد بن الحسن الصفار، المتوفى سنة ٢٩٠ هـ، من اصحاب الإمام العسكري عليه السلام، الطبعة الثانية، تصحيح العلامة ميرزا محسن كوجه باغي.

- تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هـ، مكتبة خياط، بيروت في خمسة عشر مجلدًا، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٨ هـ.

- تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، المتوفى سنة ٤١٣ هـ، تقديم وتعليق العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضي، قم، ١٣٦٣ هـ.

- تفسير البرهان، للعلامة السيد هاشم بن السيد سليمان البحراني، المتوفى سنة ١١٠٧ هـ، الطبعة الثانية على نفقة السالك.

- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، للفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي بيروت.
- تفسير الكشاف، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٣٨هـ، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، للعلامة الشيخ محمد بن محمدرضا القمي المشهدي، من أعلام القرن الثاني عشر، تحقيق حسين درگاهي، مؤسسة الطبع والنشر، ايران، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ. ش.
- تفسير القمي، لأبي الحسن علي بن ابراهيم القمي، تصحيح السيد طيّب الموسوي الجزائري، منشورات مكتبة الهدى، النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ.
- التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- تفسير نور الثقلين، للعلامة الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، المتوفى سنة ١١١٢هـ، تحقيق وتصحيح السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للعلامة جلال الدين عبدالرحمن، السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤٠٤هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم احمد بن عبدالله الإصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ.
- ديوان حسان بن ثابت، تقديم وتعليق عبدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للعلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني، المتوفى سنة ١٣٨٩هـ، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
- رجال النجاشي، للشيخ الجليل أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي، المتوفى سنة ٤٥٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤٠٧ هـ.

- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، للمحدث المتبحر الشيخ عباس القمي،

المتوفى سنة ١٣٥٩ هـ، انتشارات كتابخانه سنائی.

- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة

٢٧٥ هـ، دار إحياء السنة النبوية.

- السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى

سنة ٤٥٨ هـ، دار المعرفة، بيروت.

- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ.

- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، المتوفى سنة

٢٥٦ هـ، دار المعرفة، بيروت.

- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ، دار صادر، بيروت.

- علل الشرائع للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه

القمي، المتوفى سنة ٣٨١ هـ، تقديم العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم،

المكتبة الحيدرية في النجف، ١٣٨٥ هـ.

- الغدير في الكتاب والسنة والأدب للعلامة عبد الحسين أحمد الأميني، المتوفى

سنة ١٣٩٠ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩ هـ.

- فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم

عليهم السلام، للشيخ المحدث إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبدالله بن

علي بن محمد الجويني الخراساني، المتوفى سنة ٧٣٠ هـ، تحقيق الشيخ

محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة

الأولى، ١٣٩٨ هـ.

- في رحاب السنة الكتب الصحاح الستة للدكتور محمد محمد أبو شهبة،

مجموع البحوث الإسلامية، الأزهر ١٣٨٩ هـ.

- قرب الإسناد للشيخ الجليل أبي العباس بن جعفر الحميري من أعلام القرن

الثالث الهجري، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الاولى، ١٤١٣ هـ.

- الكافي، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، المتوفى

سنة ٣٢٩ هـ، تصحيح علي اكبر الغفاري، الطبعة الرابعة، دار صعب، بيروت، ١٤٠١ هـ.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام

الدين الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

- لسان العرب، للعلامة ابن منظور، المتوفى سنة ٧١١ هـ، تنسيق علي شيري، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، لخاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين

النوري الطبرسي، المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت

عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

- المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبدالله الحاكم النيشابوري، اشراف

يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.

- معاني الاخبار، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه

القمي، المتوفى سنة ٣٨١ هـ، تصحيح علي اكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، ١٣٧٩ هـ.

- نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن

الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام،

شرح الشيخ محمد عبده المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة الاستقامة.

- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للفتية المحدث محمد بن الحسن

الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤ هـ، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم

السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

- ينابيع المودة، للحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، المتوفى سنة

١٢٩٤ هـ، تقديم العلامة السيد محمد مهدي الخرسان، الطبعة السابعة،

المطبعة الحيدرية في النجف، ١٣٨٤ هـ.

من الغشاة لما يراه في الدين ومحمدا جاليا الغيرة والامتنان
وفي هذا القدر كفاية وغنا عما سواه في جواب ما سأل عنه السائل
من امر ذلك وترك امير المؤمنين تقضى الحاجات مستندة على طيبة
مع بيعة الناس له وبذلك يندفع ما توهمه وظنناه

وبعد فستان بيني وبين امير المؤمنين ومحمد كرم الله وجهه في الرأي
والعصاة وقايد المؤمنين ثم عد برايد الدين والدين واهلها على علم بالخال
والعاقبة وصالح شامل في العاجل والاجل ومثال قد مثل له في ذلك
وليس لا يتقده وغيره من امراء الدنيا وملوكها يعلمون على الهوى ويخطرون
في الدين والدنيا خبط عشواء ولا علم لهم بالعاقبة ولا البصيرة لهم في هذا
الحال ولا فكرة لهم في الصلاح والعتاد ولو فكروا في ذلك لكان غير
ما هم عليه من الخرافة والضلال وهذا ايضا بسقط شبهة السائل
وما اعتمد من ضرب الامثال وفي غيره هذه المسألة اجوبة سئى قد سار
لها الركبان وثبتت في امالي المشورة في الاصغاء والامصار
وفيما اثبت في هذا المقام بلاغ واقناع لمن تأمله بجميع الانصاف
والله الموفق والعين وهو حسبا ونعم الوكيل نعمت بحمد الله تعالى
والصلاة على نبينا محمد وآله والسلام عليهم اجوبة الشيخ المعين
عن اسوئ الحجاب المعروفة بالسائل العاجية

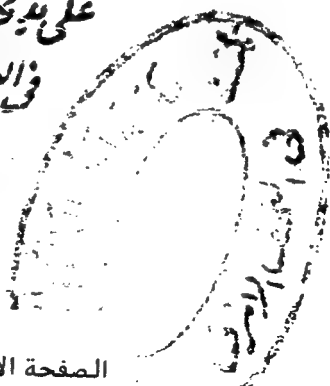
على يد محمد بن الشيخ طاهر السبادي

في النجف في منتصف ربيع الثاني

١٣٣٥

حاجا مقبلا

سلا



الحمد لله الذي بوند بالتوفيق من نعمته هداة ويخذل من عدل عن سبيله وانبع
 هواه وصلى الله على نبيه الذي استخلفه واجتباة واحططاه من كافرة بريرة
 وارفضاه وعلى البررة من اهل بيته المقدرين بر في طاعة لربه ومقتواه
 وسلم كثيرا فقد وقفت اظلال الله الحاجب في غرطاعته وادام
 توفيقه وحرره بعينه على المسائل التي افقدها اليه وسال الاجابة عنها
 بما يزيل الشبهات المعترضة في معانيها وتاملت ما تضمنته وليس منها سؤال
 الا وقد سلف في فيرجو به وثبت في معناه عن كلام يزول به عن فهمه لا ريب
 والامر في جميع ذلك بمن الله قريب وانا بمشينة الله وعونه اثبت له ان الله
 الاحدية كاسال واعتمد لا يجاز فيها والاختصار اذ كان استقصاء القول
 في ذلك مما يتشرب الخطاب وينبع به الكلام وطول به الكتاب والله الموفق
 للصواب عن قول الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
 اهل البيت ويطهركم تطهيرا قال السائل واذا كانت اسبابهم قد تم وهم
 في الاصل طاهرون فاني حير اذهب عنهم قال واخرى انه لا يذهب الشئ
 الا بعد كونه قال ونحن مجمعون على انهم لم يزلوا طاهرين قد عمى السامع قبل
 عما تضمنه هذه الاسئلة ان الخبر عن ارادة الله تعالى اذهب
 الرجس عن اهل البيت اول التطهير لا يقيد ارادة عزمة او صبرا او قسدا
 على ما يظنه جماعة ضلوا عن السبيل في معنى ارادة الله عن اسمه واسمائه
 البقاء النسل الذي يذهب الرجس وهو العصمة في الدين والتوفيق للخط
 التي تغرب العباد بها من رب العالمين وليس يقضي الاذهاب للرجس وجوه
 وقيل

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي يهدي بالتوفيق من تخيم هداه ونحوه
 من عدل من سبيله واتبع هواه وصلى الله
 على نبيه الذي استخلفه واجتبااه واصطفاه
 من كافة بريته وارضاءه وعلى البررة من اهل
 بيته المقربين به في طاعته لربه وتوحيده وسلم
 كثيرا فقد وقفت اطال الله لقاء
 الحاجب في عز طاعته وادام توفيقه وحرره
 بعصمته على المسائل التي انفذها التي وسأل
 الاجابة عنها بما نزل من الشبهات المتفرقة
 في معانيها وآملت ما تضمنه وليس منها سوال
 الا وقد سلف فيه اجوبة وثبت في معناه

فی هذا المكان بلاغ واقناع لمن تأمله بعین الانصاف
 والله الموفق والمعين وهو حسبنا ونعم الوكيل
 کتبه العبد العاصی حاجی قاسم کرم
 فی یوم تہ شنبہ چارم شہر
 جمادی الاول سنہ ۱۲۶۰
 ۱۳۲۶

هذا مسائل سألها الحاجب عن الشيخ ابو عبد الله المفيد محمد بن

محمد بن النعمان الحارثي البغدادي قدس الله سره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي يؤيد بالتوفيق من يتم هذا

ويجذل من عدل عن سبيله واتبع هواه وصلى الله على نبينا الذي

استخلصه واجتباها واصطفاه من كافة برتيه وارضاءه

وعلى البررة من اهل بيته المقربين به في طاعته لربه وتقواه وسلم

كثيرا وبعد فقد وقف اطلال بناء الحاجب في غز طاعته وادام

توفيقه وحرسه بعصمته على المسائل التي انقذها الى وسئل الاخوان

عنها بما يزيل الشبهات المعترضة في معانيها واما ملت ما تضمنه

وليس منها سؤال الا وقد سلف في اجوبه وثبت في معناه

متى كلام يزول به عن فهمه الارتياب والامر في جميع ذلك بحمد الله

قريب وانا بحسنة الله وعونه اثبت له ايده الله الاجوبه كما سئل

واعتمد الاجاز فيها والاختصاص اذ كان استقصا القول في ذلك

ما ينشر فيه الخطا ويتبع به الكلام ويطول به الكتاب والله الموفق

للمصواب المسئلة الاولى عن قوله تعالى انما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قال سائل اذا كانت

اشباحهم قد نجت وهم في الاصل طاهرون فاي رجس اذهب عنهم

قال السائل واخرى انه لا يذهب بالشئ الا بعد كونه قال ونحن نجعلون

انهم لم يزلوا طاهرين قد نجت الاشباح قبل ادم ع

الاجواب عما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده عبيداً له وعبداً له من عباده عبيداً له وعبداً له من عباده عبيداً له
 نبيل الذي انتفضت اجسامه طغافاً وكذا في برية وارتضاء وعلى البرية حرا على البرية
 في طاعته بغيره ^{بسم الله} فتدقق في هذا الامر في طاعته وادام
 توفيقه وحسن محبة المسائل التي انقذها الى سال الاجابة عنها بل في البرية العشرة
 في معانيها وتامل في انفسه وليس من هؤلاء الا قدس له في اجابة وثبت في هذا على كلام
 يزول عن قلوب الآيات والافعال في ذلك بمسألة قريبة بانما في البرية في رتبة البرية له ايده الله لا
 كما ان اعتمد الاجابة في هذا الا انفسه اذ كاستقصا القول في هذا ما ينسب في الظاهر
 نتيجة الكلام وبطلان الكتاب في البرية الموصوف ^{عن قوله تعالى ان الله}
 لا يهدي القوم الضالين ^{في} نظراً الى المسألة اذ كان قد تم في الامل طاهر وناق
 حصل من هذا ^{من} ان في البرية لا يهدي القوم الضالين ^{من} في البرية لا يهدي القوم الضالين
 قد في الاشياء في البرية ^{عن} في البرية لا يهدي القوم الضالين ^{عن} في البرية لا يهدي القوم الضالين
 لعل البرية عليهم واليه يرجعون لا ينفذ اذ عرفت او غير او قد علم ان البرية لا يهدي القوم الضالين
 معنى ارادة الله سبحانه وتعالى في الفعل الذي في البرية هو العفة الذي في البرية
 للظاهرة التي في البرية من العبد من العبد ليس في البرية لا يهدي القوم الضالين ^{من} في البرية لا يهدي القوم الضالين
 لا يهدي القوم الضالين ^{من} في البرية لا يهدي القوم الضالين ^{من} في البرية لا يهدي القوم الضالين
 الا انما ما لم يدر كما في البرية لا يهدي القوم الضالين ^{من} في البرية لا يهدي القوم الضالين
 في البرية لا يهدي القوم الضالين ^{من} في البرية لا يهدي القوم الضالين ^{من} في البرية لا يهدي القوم الضالين

أجوبة المسائل الحاجبية^١

للشيخ المفيد رضى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى يؤيد بالتوفيق من يتم^٢ هداه ويخذل من عدل عن سبيله واتبع هواه ، وصلى الله على نبيه الذى استخلفه^٣ واجتباها واصطفاه من كافة بريته وارتضاه ، وعلى البررة من أهل بيته المقتدين به فى طاعته لربه وتقواه ، وسلم كثيراً . وبعد فقد وقفْتُ - أطال الله بقاء الحاجب فى عز طاعته وأدام توفيقه وحرسه بعصمته - على المسائل التى أنفذها إلىّ وسأل الاجابة عنها بما يزيل الشبهات

١- رض: هذه مسائل سألتها الحاجب عن الشيخ أبى عبد الله المفيد محمد بن محمد بن النعمان الحارثى البغدady قدس الله سره.

مر: جواب المسائل الواردة من الحاجب ابى الليث بن سراج (رض) تعرف بـ «المسائل العكبرية» املاء الشيخ المفيد أبى عبد الله محمد بن النعمان قدس الله روحه ونصّر وجهه وألحقه بمواليه الطاهرين عليهم السلام.

اقول: المسائل الحاجبية هى إحدى وخمسون مسألة كلامية عن آيات متشابهة وأحاديث مشككة، سأل الحاجب أبو الليث بن سراج شرحها وبيانها فنسبت إليه.

٢- مر: يتم.

٣- رض، مر: استخلصه.

المعترضة في معانيها . وتأمّلت ماتضمّنه^١ وليس منها سؤال الآ وقد سلف لى فيه أجوبة^٢ ، وثبت فى معناه عنى كلام يزول به عن^٣ فهمه الارتياح ، والأمر فى جميع ذلك بمنّ الله^٤ قريب ، وأنا بمشيئة^٥ الله وعونه أثبت له - أيّده الله^٦ - الأجوبة كما سأل ، وأعتمد الإيجاز^٧ فيها والاختصار ، إذ كان استقصاء القول فى ذلك ممّا ينتشر^٨ به الخطاب ، ويتّسع به الكلام ، ويطول به الكتاب ، والله^٩ الموفّق للصواب .

المسألة الأولى عن قول الله تعالى^{١٠} : «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^{١١} . قال السائل : وإذا كانت أشباحهم قديمة وهم فى الأصل طاهرون فأى رجس أذهب عنهم؟ قال : وأخرى^{١٢} أنه لا يذهب بالشىء إلاّ بعد كونه . قال : ونحن مجمعون على أنّهم^{١٣} لم يزالوا طاهرين قديمى الأشباح قبل آدم عليه السلام .

الجواب عمّا تضمّنه هذه الأسئلة^{١٤} ، أنّ الخبر عن إرادة الله تعالى إذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام والتّطهير [لهم]^{١٥} لا يفيد إرادة عزيمة أو ضميراً

١- رض، مل: تضمّنته.

٢- مر: جواب.

٣- رض: عمن.

٤- رض، مل: بمنّة الله. مر: لله تعالى وأنا.

٥- رض، مل، مر: بمشيئة.

٦- ليس فى مر.

٧- مر: الأخبار.

٨- مل، مر: ينشر.

٩- مر: + تعالى.

١٠- رض، مل: عن قوله تعالى. مر: ما قوله - أدام الله توفيقه - فى قول الله سبحانه.

١١- سورة الأحزاب (٣٣): ٣٣.

١٢- رض: قال السائل: وأخرى. مر: وقال: وشىء آخر.

١٣- حش، مل: ونحن مجمعون أنّهم، ورض: + عليهم السلام.

١٤- رض: تضمّنته هذه المسألة.

١٥- أثبتناه عن سائر النسخ.

أو قصداً ، على ما يظنه جماعة ضلّوا عن السبيل في معنى إرادة الله عزّ اسمه ، وإنّما يفيد إيقاع الفعل الذي يُذهب الرّجس ، وهو العصمة في الدين أو التّوفيق^١ للطاعة التي يقرب العبد بها من ربّ العالمين^٢ . وليس يقتضى الإذهاب للرّجس وجوده [٢] من قبل كما ظنّه السّائل ، بل قد يذهب بما كان موجوداً ويذهب بما لم يحصل له وجود ، للمنع منه . والإذهاب عبارة عن الصّرف ، وقد يُصَرّف عن الإنسان ما لم يعتره ، كما يصرف ما اعتراه . ألا ترى أنّه يقال في الدّعاء: «صَرَفَ الله عنك السّوء» ، فيقصد الى المسألة منه تعالى عصمته من السّوء ، دون أن يُراد بذلك ، الخبر عن سوء به ، والمسألة في صرفه [عنه]^٣ .

وإذا كان الإذهاب والصّرف بمعنى واحد فقد بطل ما توهمه السّائل فيه ، وثبت أنّه قد يذهب بالرّجس عمّن لم يعتره قطّ الرّجس على معنى العصمة له [منه]^٤ والتّوفيق لما يبعده من حصوله به . فكان تقدير الآية حينئذٍ: إنّما يذهب الله عنكم الرّجس الذي [قد]^٥ اعترى سواكم بعصمتكم منه ، ويظهركم اهل البيت من تعلقه بكم^٦ ، على ما بيّناه .

واما القول بأنّ أشباحهم عليهم السّلام قديمة فهو منكر لا يطلق . والقديم في الحقيقة هو الله تعالى الواحد الذي لم يزل . وكلّ ما سواه محدث مصنوع مبتدأ له أوّل . والقول بأنّهم لم يزلوا طاهرين قديمي الأشباح قبل آدم^٥ كالأوّل في الخطأ . ولا يُقال لبشر إنّهم لم يزلوا قديماً .

١- سائر النسخ: والتّوفيق.

٢- روى الحافظ القندوزي الحنفى عن الحسن بن علىّ سلام الله عليهما أنّه قال في خطبته: إنّنا أهل بيت أكرمنا الله ، واختارنا واصطفانا ، وأذهب عنا الرّجس وطهرنا تطهيراً . (ينابيع المودة ٥٧٦).

٣- أثبتناه عن سائر النسخ.

٤- ويؤيد هذا المعنى ما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة - التي علّمها الإمام علىّ بن محمّد الهادي عليهما السّلام موسى بن عبد الله النخعي - : عصمكم الله من الزّلل ، وأمنكم من الفتن ، وطهركم من الدّنسي ، وأذهب عنكم الرّجس ، وطهركم تطهيراً . (فرائد السّمطين في فضائل المرتضى والبتول والسّطين ١٨١/٢).

٥- رض ، مل ، مر : + عليه السّلام.

وإن قيل: إن أشباح آل محمد عليهم السلام سبق وجودها وجود آدم^١ ، فالمراد بذلك أن أمثلتهم^٢ في الصور كانت في العرش فرآها آدم^٣ وسأل عنها فأخبره الله^٤ أنها أمثال صور من ذريته^٥ شرفهم بذلك وعظمهم به . فأما أن يكون^٦ ذواتهم عليهم السلام كانت قبل آدم موجودة ، فذلك باطل بعيد من الحق ، لا يعتقده محصل ولا يدين به عالم ، وإنما قال به طوائف من الغلاة الجهال ، والحشوية من الشيعة الذين لا بصير^٧ لهم بمعاني الأشياء ولا حقيقة الكلام .
وقد قيل: إن الله تعالى كان قد كتب أسماءهم على العرش^٨ فرآها آدم

١- رض، مر، رض: ٢: + عليه السلام.

٢- مر، رض: ٢: مثلهم.

٣- رض، مر: + عليه السلام.

٤- رض: + تعالى. مر: + عز وجل.

٥- قال علي بن الحسين عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله [قال: قال: يا عباد الله إن آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه - إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره - رأى النور ولم يتبين الأشباح. فقال: يارب ما هذه الأنوار؟ قال الله عز وجل: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك، إذ كنت وعاءاً لتلك الأشباح. فقال آدم: يارب لو بينتها لي؟ فقال الله عز وجل: انظر يا آدم إلى ذروة العرش. فنظر آدم، ووقع (رفع - ن خ) نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرأة الصافية، فرأى أشباحنا. فقال يارب ما هذه الأشباح؟ قال الله تعالى: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلأئقي وبريأتني: هذا محمد وأنا محمود الحميد في أفعالي، شقت له اسماً من اسمي. وهذا علي، وأنا العلي العظيم، شقت له اسماً من اسمي. وهذه فاطمة وأنا فاطمة السماوات والأرض، فاطمة أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عما يعز ويسئهم (يعتريهم ويشينهم - البحار) فشقت لها اسماً من اسمي. وهذان الحسن والحسين، وأنا المحسن المجمل، شقت اسميهما من اسمي. هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريئتي، بهم أخذ وبهم أعطى، وبهم أعاقب وبهم أئيب، فتوسل إلي بهم. يا آدم وإذا دهتك داهية فاجعلهم إلى شفعاك، فإني آليت على نفسي قمساً حقاً [أن لا أخيب بهم أملاً، ولا أرد بهم سائلاً. (التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري - تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي ص ٢١٩، وبحار الأنوار ٣٢٧/٢٦).

٦- رض، مل، مر: تكون.

٧- مر، رض: ٢: لا نظر.

٨- عن أبي جعفر عليه السلام: ... وإن اسمه لمكتوب على العرش: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله (بحار الأنوار ٩٨/١٦).

عليه السلام وعرفهم بذلك وعلم أنَّ شأنهم به عند الله العظيم^١ عظيم. وأما القول بأنَّ ذواتهم كانت موجودة قبل آدم عليه السلام فالقول في بطلانه على ما قدَّمناه^٢.

المسألة الثانية قال السائل: قد أجمعنا^٣ أنَّ محمداً وآله، صلوات الله عليهم^٤، أفضل من إبراهيم وآله عليهم السلام. قال: ونحن نسأل الله في الصلاة - على ما ورد به الأثر - أن يصلي على محمد وآله كما صلى [و] على إبراهيم وآل إبراهيم^٥، فكأنَّا نسأله الحبيطة عن منزلتهم إذ كنَّا قد أجمعنا على أنَّهم أفضل من إبراهيم وآله. قال: وإذا صحَّ أنَّ الأنوار قديمة فما بال إبراهيم^٦ قال: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ»^٧. وشدَّد^٨ ذلك ما ورد به الخبر أنه قيل: يا رسول الله، ما بدء امرك؟ قال: دعوة إبراهيم^٩.

والجواب - وبالله التوفيق - أنه ليس في مسألتنا الله تعالى أن يصلي على محمد وآله كما صلى على إبراهيم وآل إبراهيم، ما يقتضى الرغبة إليه فى إلحاقهم بدرجة إبراهيم^{١٠} وآل إبراهيم، وأنهم محطوطون عن تلك الدرجة، وأنَّا نسأله التفضّل عليهم برفعهم إليها، كما ظنّه السائل وأشباهه ممَّن لا علم لهم بمعانى الكلام، وإنَّما المراد بذلك الرغبة إلى الله^{١١} فى أن يفعل بهم المستحقّ لهم من التعظيم والإجلال، كما فعل بإبراهيم وآله ما استحقَّوه من ذلك. فالسؤال يقتضى

١- «العظيم» ليس فى سائر النسخ.

٢- مر، رضى: ٢: بيتناه.

٣- رضى: قد ثبت. مل: قال السائل إنَّ محمداً. مر: فصل مسألة قد أجمعنا.

٤- حش: + اجمعين.

٥- «وآل إبراهيم» ليس فى حش. رضى، مل، مر: وآله.

٦- حش، مل: + عليه السلام.

٧- سورة البقرة (٢)، ١٢٩.

٨- مر، رضى: ٢: شيد. رضى: شد.

٩- حش، مل: + عليه السلام. رضى: + الخليل عليه السلام.

١٠- رضى: + عليهم السلام.

١١- مل: + تعالى

تنجيز^١ المستحق لهم منه^٢ تعالى وإن كان أفضل ممّا استحقّه إبراهيم وآله . ولهذا نظير من الكلام فى المتعارف^٣ ، وهو أن يقول القائل لمن كسا عبده فى ماضى الدهر^٤ وأحسن إليه: «اكسْ وَلَدَكَ الْآنَ كَمَا كَسَوْتَ عَبْدَكَ ، وأحسن إليه كما أحسنت إلى عبدك من قبل» ، ولا يريد مسألة إلحاق الولد برتبة العبد فى الإكرام ، ولا التسوية بينهما فى ماهية^٥ الكسوة والإحسان ومماثلتهما فى القدر ، بل يريد به الجمع بينهما فى الفعلية والوجود . ولو أن رجلاً استأجر إنساناً بدرهم أعطاه إياه عند فراغه من عمله ، ثم عمل له أجير من بعد عملاً يساوى أجرته ديناراً ، لصحّ أن يقال عند فراغ الإنسان من العمل: «أعطى هذا الإنسان أجره كما أعطيت فلاناً أجره» ، أو يقول الأجير نفسه «وفنى أجرتى كما وفيت أجيرك بالأمس أجرته»^٦ ، ولا يقصد^٧ التمثيل بين الأجيرين فى قدرهما ، ولا السؤال فى إلحاق الثانى برتبة الأوّل على وجه الخطأ عن منزلته ، والنقص له من حقه . فهكذا القول فى مسائلنا الله سبحانه الصلاة على محمّد وآله عليهم السّلام كما صلى على إبراهيم ، وآل إبراهيم^٨ [٣ظ] حسب ما بيّناه وشرحناه .

فصل فأمّا تكرار القول بأنّه قد صحّ أنّهم أنوار ، فقد قلنا فيه ما يكفى^٩ ، وبيّنا

١- فى الأصل وحش: بتحيز. مل، مر، رض ٢: تنجز، ولعلّ الصواب ما أثبتناه عن رض.

٢- رض: من الله.

٣- مل، مر، رض ٢: المتعارف.

٤- مر، رض ٢: لمن كسا عبده أو ولده: «افعل مع هذا كما فعلت مع فلان، وإن لم يكن الأوّل أفضل من الآخر ويكون الآخر مستحقاً أكثر». ومن هنا إلى المسألة الرابعة سقط فى هاتين النسختين.

٥- رض، مل: مائية.

٦- رض، مل: والوجوب.

٧- رض، مل: حش: أجره

٨- رض، مل: + بذلك.

٩- رض، مل: + له.

١٠- «كما صلى على إبراهيم وآل إبراهيم» غير موجودة فى رض ومل وحش.

١١- حش، رض، مل: كفى.

أنه مذهب مردود^١، ووصفنا الذهاب اليه من الناس بما ذكره^٢ من الغلو والتقليد بغير بيان. وأما الخبر الثابت عن النبي عليه وآله السلام^٣: «أَنَا دَعَوَةُ إِبْرَاهِيمَ»^٤، فلم يأت بأنه كان جواباً عن المسألة له عن بدء أمره. ولو سئل عن بدء أمره لما كان لقوله أَنَا دَعَوَةُ إِبْرَاهِيمَ محصل^٥، لأنه إن أراد بالبدء الإرسال فلم يكن عن دعوة إبراهيم. وإن أراد الذكر فقد كان ذلك قبل إبراهيم حين ذكره الله لنبيه آدم عليه السلام. وفي الخبر أنه مذكور^٦ للملائكة^٧ قبل آدم عليه السلام^٨ وبالجملة^٩ فإننا غير مصححين لقدم الأنوار التي ذكرها السائل، وقد قلنا في ذلك ما فيه مقنع، إن شاء الله تعالى.

المسألة الثالثة وسأل السائل أيضاً عن قول يعقوب عليه السلام، لما رأى يوسف^{١٠} المنام فقال: «وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا اتَّмَمَهَا عَلَى آبَائِكَ مِنْ قَبْلُ»^{١١} وقوله بعد ذلك لإخوته: «وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ»^{١٢}. وقد علم أنه يكون نبياً وأنه

١-رض، مل: مردول.

٢-رض، مل: بما ذكرناه.

٣-رض، مل: + أنه قال.

٤-عن أبي أمامة قال: قلت يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها شيء أضاءت منه قصور الشام. (تفسير نور الثقلين ١/ ١٣٠).

٥-رض: معنى محصل.

٦-رض، مل: عند.

٧-رض: كان مذكوراً.

٨-عن أبي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وآله في خبر طويل في وصف المعراج ساقه إلى أن قال: قلت: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟ فقالوا: يابني الله وكيف لانصرفكم وانتم أول ما خلق الله؟ خلقكم اشباح نور من نوره... ثم خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتى، وكنا نمر بكم وانتم تسبحون وتحمدون وتهللون وتكبرون وتمجدون وتقديسون، فنسبح ونقدس ونمجد ونكبر ونهلل بتسبيحكم وتحميدكم وتهليلكم وتكبيركم وتقديسكم وتمجيدكم... الخ. (بحار الأنوار ١٥/ ٨).

٩-«وفي الخبر... عليه السلام» غير موجودة في مل.

١٠-رض، مل: وفي الجملة.

١١-حش، رض، مل: + عليه السلام.

١٢-سورة يوسف (١٢): ٦.

١٣-سورة يوسف (١٢): ١٣. «وانتم عنه غافلون» غير موجودة في رض ومل.

لا يجوز أن يأكله الذئب^١ مع إجماعنا على أن لحوم الأنبياء محرمة على الوحش .
الجواب - وبالله التوفيق - أن يعقوب عليه السلام تأول رؤيا يوسف عليه
 السلام على حكم رؤيا البشر التي يصح منها ويبطل ، ويكون التأويل لها مشروطاً
 بالمشيئة^٢ ولم يكن يوسف^٣ في تلك الحال^٤ نبياً يوحى إليه في المنام فيكون
 تأويلها على القطع والثبات ، فلذلك لم يجزم على ما اقتضته من التأويل ، وخاف
 عليه أكل الذئب عند إخراجهم مع إخوته في الوجه الذي التمسوا إخراجهم معهم فيه .
 وليس ذلك بأعجب من رؤيا إبراهيم عليه السلام في المنام - وهو نبي مرسل
 و خليل للرحمن^٥ مصطفى مفضل - أنه يذبح ابنه ثم صرفه الله تعالى عن ذبحه
 وفداه منه بنص التنزيل ، مع أن رؤيا المنام أيضاً على شرط صحة تأويلها ووقوعه
 [٣] لا محالة ليس بخاص لا يحتمل الوجوه^٦ ، بل هو جار مجرى القول الظاهر
 المصروف بالدليل عن حقيقته الى المجاز ، وكالعموم الذي يصرف عن ظاهره الى
 الخصوص بقرائنه من البرهان . وإذا كان^٧ على ما وصفناه أمكن أن يخاف يعقوب^٨
 على يوسف عليه السلام من العطب قبل البلوغ وإن كانت رؤياه تقتضى على ظاهر
 حكمها بلوغه ونيله النبوة وسلامته من الآفات . وهذا بين لمن تأمله . والله الموفق
 للصواب .

المسألة الرابعة وسأل هذا السائل^٩ عن قوله تعالى: «وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ
 يَسْجُدَانِ»^{١٠} وقوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

١- «وقد علم أنه ... أن يأكله الذئب» غير موجودة في رص ومل.

٢- رض، مل: بالمشيئة.

٣- حش، رض، مل: + عليه السلام.

٤- «في تلك الحال» غير موجودة في رض.

٥- حش، رض، مل: خليل الرحمن.

٦- حش: الوجوب.

٧- رض، مل: + الامر.

٨- رض، مل: + عليه السلام.

٩- مر، رض: ٢: مسألة من الأول وسأل.

١٠- سورة الرحمن (٥٥) و٦٠.

١١- «من في» ساقطة من الأصل وحش ومل.

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ^١. وقال: هذه كلها جمادات لا حياة لها^٢ فكيف تكون ساجدة لله؟ وما معنى سجودها المذكور؟

والجواب - وبالله التوفيق - أنَّ السجود في اللغة التذلل^٣ والخضوع، ومنه سَمِيَ المطيع لله ساجداً لتذلله بالطاعة لمن أطاعه. وسَمِيَ واضع جبهته على الأرض ساجداً لمن وضعها له لَأَنَّهُ تَذَلَّلَ بِذَلِكَ لَهُ وَخَضَعَ. والجمادات وإن فارقت الحيوانات بالجمادية فهي متذلة لله عز وجل من حيث لم تمتنع من تدييره لها وأفعاله فيها. والعرب تصف الجمادات بالسجود وتقصد بذلك^٤ ما شرحناه في معناه. ألا ترى الى قول الشاعر، وهو زيد الخيل:

بجمع تَضَلَّ البُلُقُ في حُجراته ترى الأكم فيه سُجداً للحوافر
أراد أنَّ الأكم الصَّلاب في الأرض لا تمتنع من هدم حوافر الخيل لها وإنخفاضها بها بعد الارتفاع. وقال سويد الشاعر:

ساجد المنخر لا يرفعه خاشع الطرف اصم المستمع
والتذلل بالاضطرار والاختيار لله عز اسمه يعم الجماد والحيوان الناطق والمستبهم معاً. فالمتذلل لله تعالى بالاختيار والفعل من نفسه^٥ هو الحي العاقل المكلف المطيع. والمتذلل له بالاضطرار هو الحي المستبهم والناطق الناقص [٤ظ] عن حد التكليف، والكامل الكافر أيضاً.

والجمادات جميعهم مصروف بتدبير الله تعالى وغير ممتنع من أفعاله به وآثاره فيه، فالكل إذا سجد لله جل اسمه متذلل له خاضع، على ما بيناه. وهذا ما لا يختل معناه على من له فهم باللسان.

١- سورة الحج (٢٢): ١٨.

٢- مر، رض: + ولا نطق.

٣- رض: هو التذلل والخشوع. مل، مر، رض: هو التذلل.

٤- «بذلك» ساقطة من رض.

٥- مر، رض: باختيار وعقل.

المسألة الخامسة، قال السائل: والأنبياء عندنا معصومون كاملون ، فما بال موسى عليه السلام [كان] ^١ تلميذاً للخضر ^٢ وهو أعلى منه ، ثم أنكر على الخضر ^٣ فعله والحق فيه؟

الجواب - وبالله التوفيق - أن موسى ^٤ اتبع الخضر قبل أن يُنبأ ويُبعث ، وهو إذ ذاك يطلب العلم ويلتمس الفضل فيه . فلما كلمه الله وانتهى من الفضل في العبادة والعلم الى الغاية التي بلغها ، بعثه الله تعالى رسولاً واختاره كليماً نبياً . وليس في اتباع الأنبياء العلماء قبل نبوتهم قدحٌ فيهم ولا منفرة عنهم ، ولا شينٌ لهم ولا مانع من بعثتهم واصطفائهم . ولو كان موسى عليه السلام اتبع الخضر بعد بعثته لم يكن ذلك أيضاً قادحاً في نبوته ، لأنه لم يتبعه لاستفادته منه علم شريعته ، وإنما اتبعه ليعرف باطن أحكامه التي لا يخلُ فقد علمه بها لكمالهِ ^٥ في علم ديانته . وليس من شرط الأنبياء عليهم السلام أن يحيطوا بكل علم ، ولا أن يقفوا على باطن كل ظاهر . وقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وآله ^٦ أفضل النبيين وأعلم المرسلين ، ولم يكن محيطاً بعلم التجوم ، ولا متعرّضاً لذلك ولا يتأتى منه قول الشعر ولا ينبغي له . وكان أمياً بنص التنزيل ولم يتعاط معرفة الصنائع ^٧ ولما أراد المدينة ^٨ استأجر دليلاً على سنن الطريق . وكان يسأل عن الأخبار ويخفي عليه منها ما لم يأت به إليه صادق من الناس ، فكيف ^٩ يُنكر أن يتبع

١- اثبتناها عن رض لاقتضاء السياق.

٢- رض: + عليه السلام.

٣- «على الخضر» ساقطة من رض.

٤- رض، مل: + عليه السلام.

٥- رض، مل: بتغير.

٦- رض: + عليه السلام.

٧- رض، مل: فقد علمه بكمالهِ.

٨- حش: عليه وآله الصلاة والسلام. رض: عليه وآله السلام.

٩- رض، مل: + والمهن.

١٠- رض، مل: الله، هو تصحيف من الناسخ.

١١- رض، مل: فلا.

موسى^١ عليه السلام الخضر^٢ بعد نبوته ليعرف بواطن الأمور، فيما^٣ كان يعلمه ممّا أوردّه الله سبحانه بعلمه ، من كون ملك يغصب السفن ، وكنز فى موضع^٤ من الأرض ، وطفل إن بلغ كفر وأفسد^٥ ، وليس عدم العلم بذلك نقصاً ولا شيناً ولا موجباً لانخفاض عن رتبة نبوة^٦ وارسال . وأمّا إنكاره عليه السلام خرق السفينة وقتل [٤] الطفل فلم ينكره على كلّ حال ، وإنّما أنكر الظاهر منه ليعلم باطن الحال منه . وقد كان منكراً فى ظاهر الحال وذلك جار مجرى قبول الأنبياء عليهم السلام شهادات العدول فى الظاهر وإن كانوا كذّبة فى الباطن وعند الله ، وإقامة الحدود بالشهادات وإن كان المحدودون برآء فى الباطن وعند الله . وهذا أيضاً ممّا لا يلتبس^٧ الأمر فيه على متأمل له من العقلاء .

المسألة السادسة ، وسأل عن قول أمير المؤمنين عليه السلام فى دعائه على القاعدين عن نصرته من جنده: «اللّهُمَّ أَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شِراً مِنْى»^٨ . فقال: ما وجه هذا الكلام ولم يكن عليه السلام شريراً ولا كانوا هم خياراً؟ وكيف يسأل الله أن يُبدّلهم به شريراً ، والشر ليس من الله؟

والجواب - وبالله التوفيق - أنّ العرب تصف الإنسان بما يعتقدّه فى نفسه وإن كان اعتقاده ذلك باطلاً ، وتذكر انفسها بما هى على خلافه لاعتقاد المخاطب فيها^٩ ذلك . ولما ذكرناه نظائر فى القرآن وأشعار العرب الفصحاء .

١- حش، مل : + عليه السلام .

٢- رض: + عليه السلام .

٣- فى الأصل وحش: فما صححناها عن رض ومل .

٤- «فى موضع» ساقطة من رض ومل .

٥- حش : فسد

٦- رض : لانخفاض رتبته عن نبوة .

٧- رض، مل : لا يلبس .

٨ - نهج البلاغة، الخطبة ٢٥: اللّهُمَّ إِنِّى قَدْ مَلِئْتُهُمْ وَمَلُونِى وَسَيِّئْتُهُمْ وَسَيِّئُونِى، فَأَبْدِلْنِى بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِى شِراً مِنْى .

٩- رض، مل : فيه .

قال الله عز اسمه: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ»^١ ولم يكن كذلك بل كان ذليلاً لثيماً، فوصفه بضد ما هو عليه لاعتقاده ذلك في نفسه، واعتقاد من اعتقد فيه ذلك^٢.

وقال حكاية عن موسى عليه السلام، فيما خاطب به السامري: «وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا»^٣، ولم يرد إلهه في الحقيقة الذي هو الله عز وجل، وإنما أراد إلهه في اعتقاده.

وقال حسان بن ثابت يرد على أبي سفيان فيما هجا به النبي، صلى الله عليه وآله وسلم:

أتهجوه ولست له بـند فـشركـما لخيركما الفداء^٤

ولم يكن في النبي صلى الله عليه وآله وسلم شر، ولا كان صلى الله عليه وآله وسلم شريراً حاشاه من ذلك! وإنما أراد حسان - بما أورده من لفظ الدعاء في البيت الذي أثبتناه عنه - ما قدماه من تعلق الصفة باعتقاد المخاطب، أو تقديرها على ما يمكن من اعتقاد الخطأ في ذلك، حسب ما شرحناه. وفي معنى ذلك قوله تعالى: «أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ»^٥. ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزَّقُّوم^٦ على حال. ونظائر ذلك كثيرة.

١- سورة الدخان (٤٤): ٤٩.

٢- حش، رض، مل: ذلك فيه.

٣- سورة طه (٢٠): ٩٧.

٤- ديوان حسان بن ثابت ص ٢٠.

وعند الله فـسـي ذاك الجزاء
فـشركـما لخيركما الفداء
أـمـن الله شيمته الوفاء

هـجـوت محمداً فأجبت عنه
أتهـجـوه ولست له بكف
هـجـوت مباركاً بـراً حنيفاً

٥- حش، مل: عليه وآله السلام.

٦- حش، مل: صلوات الله عليه

٧- سورة الصافات (٣٧): ٦٢

٨- «ومعلوم انه لاخير في شجرة الزقوم» ساقطة من رض ومل.

فصل - فَمَا قَوْلُ السَّائِلِ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللَّهَ إِيْدَالَهُمْ بِهِ شَرًّا مِنْهُ وَالتَّمَسُّ [٥] مِنْهُ الشَّرِّ مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ الشَّرَّ^١، فَالْوَجْهُ فِيهِ عَلَى خِلَافِ مَا ظَنَّهُ، وَهُوَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ [لَمْ] ^٢يَسْأَلِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَفْعَلَ بِخَلْقِهِ شَرًّا وَلَا أَنْ يَنْصِبَ عَلَيْهِمْ شَرِيرًا، لَكِنَّهُ سَأَلَهُ التَّخْلِيَةَ بَيْنَ الْأَشْرَارِ مِنْ خَلْقِهِ وَبَيْنَهُمْ، عَقُوبَةً لَهُمْ وَامْتِحَانًا. وَسَأَلَهُ أَيْضًا أَنْ لَا يَعْصِمَهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الظَّالِمِينَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ مِمَّا يَسْتَحَقُّونَ بِهِ الْعَذَابَ الْمُهِينَ. وَنَظِيرُ ذَلِكَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ»^٣، وَقَوْلُهُ: «إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرْأَ»^٤ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَتَمَكَّرُوا فِيهَا»^٥. وَلَمْ يُرَدِّ بِذَلِكَ الْبَعْثَةُ الَّتِي هِيَ بَعْثَةُ الرِّسْلِ وَلَا الْأَمْرَ بِذَلِكَ^٦ وَالتَّرْغِيبَ فِيهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّخْلِيَةَ وَالتَّمَكِينَ وَتَرْكَ الْحِيلُولَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَذْكُورِ^٧، وَهَذَا بَيِّنٌ، وَاللَّهُ الْمَحْمُودُ.

١- رض: لا يفعله.

٢- ساقطة من الأصل وحش، وأثبتناها عن رض ومل لما يقتضيه المعنى.

٣- سورة الأعراف (٧): ١٦٧.

٤- سورة مريم (١٩): ٨٣.

٥- سورة الأنعام (٦): ١٢٣.

٦- مل، مر، رض: ٢ + ولا الأمر لفعله. حش + ولا الأمر بفعله.

٧- مر، رض: ٢: المذكورين.

المسألة السابعة. وسأل فقال: إذا كان الله تعالى لا تعلم^١ هيئته ولا يحسّ و لا يدرك كيفيته ولا يشبه خلقه، ولا تحسّ الأوهام والخواطر، ولا يحويه مكان ولا حيث^٢ ولا أوان، فكيف صدر الأمر والنهي عنه إلى الحجج عليهم السلام وكيف هيئة ذلك؟ هذا سؤال السائل بالفاظه مع اختلاطها وفسادها.

والجواب - وبالله التوفيق - أن الله، تعالى^٣ عن أن يكون له هيئة أو كيفية أو يشبه شيئاً من خلقه، أو يتصور في الأوهام أو يصحّ خطور ذلك^٤ على الصحة لأحد بال، وتعالى^٥ أيضاً عن المكان والزمان. وحصول الأمر منه والنهي للحجج عليهم السلام والسفراء ثابت معقول، لا يشبه معناه على الألباء^٦، وهو أن يحدث سبحانه كلاماً في محلّ يقوم به الكلام كالهواء وغيره من الأجسام، يخاطب به المؤهلّ للرسالة، ويدلّه على أنّه كلامه [سبحانه]^٧ دون من سواه، بأنّه لا يقدر عليها أحد من الخلق على كلّ حال^٨، فيعلم المخاطب بذلك أنّه كلام الله، لما قد ثبت في العقول من حكمته [تعالى]^٩، وأنّه لا يلبس على العباد ولا يصدّق كاذباً عليه، ولا يعزّد باطلاً ببرهان.

ونظير ذلك إرساله لموسى عليه السلام وتكليمه^{١٠} إياه ووحيه إليه في البعثة له

١- رض، مل، مر، رض: ٢: لا يعلم.

٢- في الأصل وحش: بحيث. صحتها عن رض و مر و رض: ٢.

٣- رض، مل: يتعالى.

٤- رض: حضور ذاته. مل: حضور ذلك.

٥- رض، مل: ويتعالى.

٦- رض، مل: الأولياء.

٧- أثبتها عن حش و رض و مر.

٨- حش، رض، مل، مر، رض: ٢: على حال.

٩- أثبتها عن حش و رض و مل. مر: حكمة الله تعالى.

١٠- رض، مل، رض: ٢: كلامه.

والإرسال . فأحدث كلاماً في الشجرة التي رام موسى [٥] منها اقتباس النار ، أو فيما يتصل بالشجرة من الهواء^١ ، ودلّه على أنّه كلامه تعالى^٢ دون من سواه بجعل يده بيضاء من غير سوء ، وقلب عصاه ثعباناً حياً يسعى في الحال ، فعلم موسى عليه السلام بهذين المعجزين أنّ المكلّم^٣ له إذ ذاك هو الله جلّ اسمه ، الذي لا يقدر على مثل صنيعه^٤ باليد والعصا أحد من الخلق^٥ .

ثمّ قد يكون الكلام من الله تعالى في معنى الإرسال بخطاب^٦ المرسلِ نفسه ، من غير واسطة بينه وبينه من السفراء ، وقد يكون بخطاب ملك يتوسط في السفارة بينه وبين المبعوث من البشر ، ويعضد كلامه للملك بمثل ما عضد كلامه لموسى عليه السلام من الآيات . وهذا بين لإشكال فيه ، والمثّة لله^٧ .

المسألة الثامنة . وسأل فقال: قد ورد الخبر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «مأمننا إلاّ مَنْ هَمَّ أو عصى إلاّ يحيى بن زكريّا فإنه ما هَمَّ ولا عصى»^٨ . قال وقد سمّاه الله سيّداً ولم يسمّ غيره . وإذا صحّ ذلك فهو خير الأنبياء .

١- في الأصل: فيما يتصل من الهواء بالشجرة، اخترناها وفقاً لسائر النسخ.

٢- باقى النسخ: سبحانه.

٣- رض، مل، مر، رض: المتكلّم.

٤- رض: صنّعه. مر: صفته.

٥- مر، رض: + والعباد.

٦- رض: يخاطب.

٧- رض: + تعالى.

٨- ورد في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام (ص ٦٥٩): لكنّه ما من عبدٍ عبّد الله عزّ وجلّ إلاّ وقد أخطأ أو هَمَّ بخطأ، ما خلا يحيى بن زكريّا، فإنّه لم يذنب، ولم يهَمَّ بذنب. ونقلها العلامة المجلسيّ في البحار ١٤/١٨٦.

وفي الدرّ المشور (٢٦٢/٤): أخرج أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ما من أحد من ولد آدم إلاّ وقد أخطأ أو هَمَّ بخطيئة إلاّ يحيى بن زكريّا لم يهَمَّ بخطيئة ولم يعملها. راجع أيضاً المستدرک على الصحيحين - للحاكم النيشابوري - ٥٩١/٢.

٩- إشارة إلى قوله تعالى: فنأذنه الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب أنّ الله يُشِيرُك بِيحيى مُصدّقاً بكلمة من الله وسيّداً وخُصُوراً ونبيّاً من الصّالحين - سورة آل عمران (٣): ٣٩.

والجواب - وبالله التوفيق - أنَّ هذا الخبر غير ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله ، ولو ثبت لما وجب أن يكون يحيى أفضل الأنبياء^١ ، إذ كان من همَّ وعصى قد تزيد^٢ تكاليفه على من لم يهَمْ ولم يعصِ ، وتكون طاعاته وقربه أكبر^٣ ، وأعماله أشقَّ وأكثر صلاحاً للخلق وأنفع ، لاسيما وهم الأنبياء^٤ ومعاصيهم - على مذهب من جَوَز ذلك عليهم من أهل العدل - صغائرُ مغفورة .

فأما وصف الله تعالى ليحيى^٥ بأنه سيّد ، فذلك أيضاً ممّا لا يوجب تفضيله على الأنبياء عليهم السّلام ، لأنّه لم يوصف بالسيادة والفضل عليهم ، وإنّما وصف بسيادة قومه ، والتّقدّم^٦ على أتباعه وأهل عصره . وذلك غير مقتضٍ لسيادته على النبيّين^٧ وتقدّمه في الفضل على كافّة المرسلين حسب ما ذكرناه .

المسألة التاسعة . وسأل عن قوله تعالى : «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^٨ فسئى المعدوم شيئاً والمعدوم ليس بشيء^٩ ، وخاطب المعدوم والمخاطب لا يكون إلّا لموجود^{١٠} .

والجواب - وبالله التّوفيق - أنَّ العرب^{١١} تطلق على المعدوم ما لا يستحقّه من

١- حش، مل: + عليهم السّلام.

٢- رض، مل: يزيد.

٣- رض، مل: أكثر.

٤- رض: وأشقّ أعمالاً.

٥- رض، مل: وهمة.

٦- حش، مل: + عليهم السّلام.

٧- حش، رض، مل: + عليه السّلام.

٨- في الاصل: والتّقديم، صحّناها على باقى النسخ.

٩- مل: لسيادته النبيّين.

١٠- سورة النحل (١٦): ٤٠.

١١- مل: بموجود.

١٢- مر، رض: ٢: إنّ القرآن نزل بلسان العرب والعرب...

السَّمة^١ على الحقيقة إلا عند الوجود توسعاً ومجازاً. ألا ترى أنهم يقولون: فلان [عظ] مستطيع للحجّ، فيطلقون على ما [لم]^٢ يقع - من الفعل الذي إذا وجد كان حجاً - اسم الحجّ. ويقولون: تريد^٣ في هذه السنة الجهاد؟ فيسمّون ما لم يقع بالجهاد، وهو لا يستحقّ السَّمة^٤ بذلك إلا بعد الوجود. وزيد في نفسه خصومة عمرو، وصلاح خالد، وخطاب عبدالله، ومناظرة بكر، والخصومة والصلح والخطاب والمناظرة لا تكون في الحقيقة إلا بأفعال موجودة. وقد أطلقوا عليها السَّمة^٥ قبل الوجود وفي حال عدمها وقبل كونها، على ما وصفناه. وقد قال الله تعالى مخبراً عن المسيح عليه السلام إنه قال: «وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ»؛ فسمّاه رسولاً قبل وجوده. والرسول لا يكون رسولاً في حال عدمه، ولا يستحقّ هذه السَّمة^٦ إلا بعد وجوده وبعثته.

[فصل]^٥ فأما قوله إن الخطاب لا يتوجّه إلا إلى موجود ولا يصحّ توجّهه إلى المعدوم، فالأمر كذلك. ولم يخبر الله تعالى بأنه خاطب معدوماً ولا كلم غير موجود، وإنما أخبر أن الأفعال غير متعذّرة عليه، وأنه مهما أراد إيجادها^٦ منها وجد كما أراد. والعرب تتوسّع بمثل ذلك في الكلام، فيقول القائل منهم في الخبر عمّن يريد ذكره باتّساع القدرة ونفوذ الأمر وقوّة السلطان: فلان إذا أراد شيئاً وقال له: كن، فكان، وهو لا يقصد بذلك، الخبر عن كلامه لمعدوم، وإنما يخبر عن قدرته وتيسّر الأمر له^٧، حسب ما بيّناه.

١- رض: ٢: التسمية.

٢- ساقطة من الأصل وحش، أثبتناها عن سائر النسخ لما يقتضيه السياق.

٣- رض، رض: ٢: يريد. مل، مر: نريد.

٤- سورة الصف (٦١): ٦.

٥- أثبتناها عن مر ورض: ٢.

٦- رض: إيجاد شيء.

٧- رض، مل، مر، رض: ٢: عليه.

المسألة العاشرة. وسأل عن قوله تعالى: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ»^١ فقال: هذا خطاب منه لمعدوم، لأنه يقوله عند فناء الخلق. ثم يجيب نفسه فيقول: «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»^٢. وكلام المعدوم سفه لا يقع من حكيم، وجوابه لنفسه عن سؤاله المعدوم أو تقريره إتياء خلاف للحكمة والعقول^٣.

والجواب - وبالله التوفيق - إن الآية غير متضمنة^٤ للخبر عن خطاب معدوم ولا تقرير لغير موجود، بل فيها ما يوضح الخبر عن تقرير لموجود وهو قوله عز وجل: «لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ»^٥. ويوم التلاق هو يوم الحشر عند التقاء [٦] الأرواح والأجساد، وتلاقى الخلق بالاجتماع في الصعيد الواحد. وقوله: «يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ»، يؤكد ذلك، إذ كان البروز^٦ لا يكون إلا لموجود، والمعدوم لا يوصف بظهور ولا بروز. فدل ذلك على أن قوله تعالى: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» خطاب للموجود^٧، وتقرير لفاعل ثابت العين غير معدوم. ثم ليس في الآية أن الله تعالى هو القائل ذلك، بل فيها قول غير مضاف إلى قائل بعينه، فيحتمل أن يكون القائل ملكاً أميراً بالداء، فأجابه أهل الموقف. ويحتمل أن يكون الله تعالى هو القائل مقررّاً غير مستخبر، والمجيئون هم البشر المبعوثون، أو الملائكة الحاضرون، أو الجميع مع الجانّ وسائر المكلفين. غير أنه ليس في ظاهر الآية ولا باطنها ما يدل على أن الكلام لمعدوم، على ما ظنه السائل وأقدم على القول به، من غير بصيرة ولا يقين^٨.

وجه آخر وهو أن قوله عز وجل: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» يفيد وقوعه في حال إنزال^٩

١- سورة غافر (٤٠): ١٦.

٢- رض، مل، مر، رض ٢: في العقول.

٣- رض، مل: غير مضمنة.

٤- سورة غافر (٤٠): ١٥-١٦.

٥- رض ٢: إذ البروز.

٦- سائر النسخ: لموجود.

٧- حش: ولا تبين.

٨- باقي النسخ: إنزاله.

الآية دون المستقبل ، ألا ترى إلى قوله لنبيه صلى الله عليه وآله: «لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» يعنى اليوم الذى تقدم ذكره . ثم قال : «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» . فكان قوله: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» تنبيهاً على أن الملك لله تعالى وحده يومئذٍ ، ولم يقصد به إلى تقرير ولا استخبار . وقوله تعالى: «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» تأكيداً للتبعية والدلالة على تفرده تعالى بالملك دون من سواه ، ويكون تقدير الآية كقول^٢ القائل: يوم كذا وكذا لِمَنِ الأمر؟ فى اليوم المذكور أليس هو لفلان أو فلان؟ ولم يقصد بذلك تقريراً ولا استخباراً ولا إخباراً^٣ ، وإنما قصد الدلالة على حال المذكور فى اليوم الموصوف ، وهذا ما لا شبهة فيه ، والله المحمود .

المسألة الحادية عشر. وسأل عن كلام الله لموسى عليه السلام: بأى شىء كان ذلك ، وقد علمنا أن النطق لا يخرج إلا عن^٥ مكيف ، تعالى الله عن ذلك! فما هذا النطق وما ورد فيه؟

والجواب - وبالله التوفيق - أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بأن فعل كلاماً له فى الشجرة التى سمعه منها ، أو فى الهواء المتصل [٧ظ] بها^٦ . والكلام غير محتاج إلى كيفية المتكلم^٧ به وإنما يحتاج إلى محل يقوم به ، سواء كان لفاعله كيفية أم لم يكن^٨ له . وكذلك [ما عدا]^٩ الكلام من الأعراض كلها يحتاج إلى كيفية^{١٠}

١- رض، رض: تأكيداً.

٢- مر، رض: ٢: على قول. رض، مل: قول.

٣- مر، رض: ٢: ولا يقصد بذلك تقرير ولا استخبار ولا إخبار.

٤- باقى النسخ: + تعالى.

٥- سائر النسخ: من.

٦- رض، مل، مر، رض: ٢: به.

٧- حش، رض، مر: للمتكلم.

٨- رض، مل: لم تكن.

٩- أثبتناها عن رض و مل. وفى مر و رض: ٢: ماسوى.

١٠- رض، مل، مر، رض: ٢: إلى محل يقوم به.

، ولا يفتقر في صحّة العقل^١ لها إلى كَيْفِيَّةِ الفاعل^٢. ولم يكن الفاعل فاعلاً من حيث كانت له كَيْفِيَّة. ولا ذلك من حدّه وحقيقته ولا من شرط كونه فاعلاً، بل حقيقة الفاعل خروج مقدوره إلى الوجود وهو معناه. وكل فاعل خارج مقدوره إلى الوجود فهو فاعل، فأما كون الشئ جسماً أو جوهرًا فليس من حدود الفاعلين ولا من حقائقهم ولا من^٣ شروطهم، على ما ذكرناه.

والذي يدلّ على ذلك إنّه قد يعرف الفاعل فاعلاً من لا يعتقده جسماً ولا جوهرًا ولا يعرفه بذلك. ويعرف الجسم جسماً والجوهر جوهرًا من لا يعتقده فاعلاً ولا يعلمه كذلك ولا يجوز الفعلية منه، فيعلم أنّ المتكلم لا يحتاج في كونه متكلمًا إلى كَيْفِيَّتِهِ؛ إذ كان معنى المتكلم وحقيقته من فعل الكلام، بدلالة أنّ كلّ من عرف شيئاً فاعلاً للكلام، عرفه متكلمًا. وكلّ من عرفه متكلمًا، علمه فاعلاً للكلام. ومن اشتبه الأمر في فعله للكلام اشتبه في كونه متكلمًا. وهذا واضح لمن تأمله، إن شاء الله.

[فصل]٥ فأما الوصف لكلام الله تعالى بأنّه نطق، فمفكر من القول. و

لا يجوز وصف البارئ تعالى بالنطق وإن وصف بالكلام، إذ ليس معنى النطق معنى الكلام بل هما مختلفان في لسان العرب غير متّفقين، إذ كان المتكلم عندهم من فعل الكلام، على ما بيّناه. والناطق ما كانت له أصوات تختصّ بآلته المنبثّة^٦ في جملة جسمه، وإن لم تكن تلك الأصوات كلاماً مفهوماً، على ما ذكرناه. ولو لم يكن به شرع ولا تضمّنه القرآن ولا أطلقه أحد من أئمة أهل الإيمان، لكفى، فكيف والقول فيه ما ذكرناه.

١- رض، مر، رض: ٢: الفعل.

٢- حش، رض، مل: للفاعل.

٣- «من» ليس في باقي النسخ.

٤- رض، مل، مر، رض: ٢: كَيْفِيَّة.

٥- أثبتناها عن مر ورض: ٢.

٦- حش: المنبثّة. رض: ٢: بآلة منبثّة.

المسألة الثانية عشر. وسأل فقال: إن قال المخالف: أوجدونا النصّ على عليّ عليه السلام [٧] في القرآن وأنّ النصّ أوجب من الاختيار بدليل عقلٍ وشرعٍ ، وبطلان الخبر المروى في الاستخلاف على الصّلاة ، وأنّه لو صحّ لم يجز خلافة به .
والجواب - وبالله التّوفيق^١ :- هذه ثلاث مسائل متباينات في المعاني والألفاظ ، وقد أملت في كلّ واحدة منها كلاماً محفوظاً عند أصحابنا ، وأوضحنا فيها ما يحتاج إليه المسترشد من البيان . وأنا^٢ أرسم في كلّ واحدة منها جملة من القول كافية في هذا المكان ، إن شاء الله^٣ .

فصل . أمّا قوله^٤ : أوجدونا النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن ، فإنّا نقول: إنّ ذلك ثابت في مجمله^٥ دون التّفصيل منه والظّاهر الذي يخرج عن الاحتمال . ولو كان ظاهراً في القرآن على التّفصيل والبيان ، لما وقع فيه تنازع واختلاف . وليس وجوده في المحتمل من الكلام بمانع من قيام الحجّة به على الأنام ، كما كان النصّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بالنبوة والبشارة به في مجمل كلام الله سبحانه من التّوراة والإنجيل . ولم يكن^٦ ذلك مانعاً من قيام الحجّة به على الأنام ، وكما ثبت عند المخالف لنا إمامة أئمتهم^٧ وإن لم يكن عليها نصّ جلّى من القرآن ، وثبت أنّهم في الجنّة^٨ على قولهم^٩ بالنصّ^{١٠} عن

١- «والجواب وبالله التوفيق» ليست في رض ومل ومر ورض ٢. والموجود في الثلاث الأخيرة: فصل.

٢- رض، مل: فأنّا.

٣- رض، رض ٢: + تعالى.

٤- رض، مل: أمّا قولهم. مر، رض ٢: فأمّا قولهم.

٥- مر: في الجملة. رض: في محله.

٦- رض، مل، رض ٢: لم يك.

٧- باقى النسخ: ائمتهم.

٨- في الأصل: بالجنّة، اخترناها عن سائر النسخ.

٩- حش، رض، مل: على قوله.

١٠- في الأصل: في النصّ، اخترناها عن باقى النسخ.

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ موجوداً فِي نصوص القرآن ، وكما ثبت [النص] ^١ عَلَى النَّصَابِ فِي الْمَالِ الَّذِي ^٢ فِيهِ الزَّكَاةُ ، وَصِفَةُ الصَّلَاةِ وَكَيْفِيَّتُهَا ، وَصِفَةُ الصَّيَامِ ، وَمَنَاسِكَ الْحَجِّ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كُلَّهُ منصوصاً فِي ^٣ القرآن ، وَتُبِتَتْ معجزات النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَامَتْ حُجَّتُهَا عَلَى الْخَلْقِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ منصوصة فِي ظَاهِرِ الْقُرْآنِ ، فَكَذَلِكَ تُبِتَتْ ^٥ إِمَامَةُ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّصِّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ^٦ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مودعاً فِي صريح القرآن .

فصل . فَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي ^٧ تُبِتَتْ فِيهَا النَّصُّ عَلَى إِمَامَةِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَجْمَلِ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ^٨ ففرض طاعة أولياء الأمر كفرض طاعة نفسه وَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ^٩ . وَأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ بِغَيْرِ إِشْكَالٍ ^{١٠} ، إِذْ كَانَ لِلنَّاسِ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ أَقْوَالٌ : [٨ظ]

أَحَدُهَا أَنَّ أَوْلِيَاءَ الْأَمْرِ الْعُلَمَاءَ . الثَّانِي ^{١١} هُمْ أَمْرَاءُ السَّرَايَا . الثَّلَاثُ ^{١٢} أَنَّهُمْ الْأُئِمَّةُ لِلْأَنَامِ . وَقَدْ حَصَلَ لِأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمِيعُ هَذِهِ الْأَوْصَافِ ، فَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْعُلَمَاءِ بِاتِّفَاقٍ ، وَكَانَ مِنْ وَجُوهِ أَمْرَاءِ السَّرَايَا لِلنَّبِيِّ ^{١٣} صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

١- أثبتناها عن رض، مل، مر ورض ٢.

٢- مل: + تركو. مر، رض ٢: + يجب.

٣- رض، مل، مر، رض ٢: + ظاهر.

٤- رض، مل: للرسول. مر: الرسول. رض ٢: النبي الرسول.

٥- رض ٢: ثبتنا.

٦- حش: عليهم السلام. مر: عليهما السلام. رض ٢: عليه وآله السلام.

٧- فِي الْأَصْلِ: الَّذِي، صَحَّحْنَاهَا عَلَى بَاقِي النُّسخ.

٨- سورة النساء (٤): ٥٩.

٩- رض ٢: عليه وآله السلام.

١٠- رض: بلا إشكال.

١١- باقى النسخ: والثانى.

١٢- باقى النسخ: والثالث.

١٣- رض: سرايا النبي.

بغير اختلاف ، وكانت له الإمامة بعده ففى حال ، على الاجتماع^١ فى ذلك وعدم التنازع فيه بين جمهور العلماء ، فوجب أن يكون معيناً بالآية على ما بيناه . وإذا كانت الآية مفيدة لفرض طاعته على حسب إفادتها طاعة النبى صلى الله عليه وآله^٢ ثبت بذلك^٣ إمامته فى تنزيل القرآن .

فصل . ومن ذلك قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»^٤ ، وقد ثبت أن المنادى به غير المنادى إليه ، وأن الأمور بالاتباع غير المدعو إلى اتباعه . فدل ذلك على أن^٥ الأمورين باتباع الصادقين ليسوا هم الأمة بأجمعها ، وإنما هم طوائف منها ، وأن الأمور باتباعه غير الأمور بالاتباع^٦ ، ولا بد من تمييز الفريقين بالنص ، وإلا وقع الالتباس^٧ وكان فيه تكليف ما لا يطاق . فلما بحثنا عن الأمور باتباعه وجدنا القرآن دالاً عليه بقوله تعالى : «لَيْسَ السِّرُّ أَنْ تُؤْلُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»^٨ فذكر سبحانه خصلاً تقتضى لصاحبها بمجموعها التصديق والصدق ، ودل على أنه عنى بالصادقين - الذين

١- رض ٢: الإجماع.

٢- رض ٢: عليه وآله السلام.

٣- حش: ذكر.

٤- مر: + على ما بيناه.

٥- سورة التوبة (٩): ١١٩.

٦- رض، مل: + المؤمنين. حش، مر، رض ٢: + أمير المؤمنين، وهو تصحيف من الناسخ كما أنه فى حش قد شطب عليها.

٧- رض: وأن الأمور بالاتباع غير الأمور باتباعه.

٨- رض، مل، رض ٢: الإلباس.

٩- سورة البقرة (٢): ١٧٧.

أَمَرُوا^١ بِاتِّبَاعِهِمْ - مَنْ جَمَعَ الْخِلَالَ الَّتِي عَدَدْنَاهَا دُونَ غَيْرِهِ^٢. وَصَحَّ بِذَلِكَ التَّمْيِيزُ^٣ بَيْنَ الْمَأْمُورِ بِالِاتِّبَاعِ وَالْمَدْعُوِّ إِلَى اتِّبَاعِهِ، وَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا كَمَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْخِصَالُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سِوَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^٤ [و٨] بِتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ وَدَلَائِلِ مَعَانِي الْقُرْآنِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ^٥ أَعْظَمُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَجْلَّهْمُ وَأَرْفَعَهُمْ قَدْرًا، إِذْ كَانَ أَوَّلَهُمْ إِيْمَانًا، وَكَانَ مَشْهُودًا لَهُ بِالْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّنْ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَفِي الرِّقَابِ. وَقَدْ شَهِدَ بِذَلِكَ لَهُ الْقُرْآنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا»^٦. وَكَانَ هُوَ الْمَعْنَى بِذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى اتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ^٧ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ. وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ. وَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ فِيهِ^٨ عَلَى الْخُصُوصِ وَالْإِفْرَادِ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»^٩. فَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الثَّبَتُ^{١٠} فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَطَابَقَ اللَّفْظُ بِاللَّفْظِ فِي الْاِثْنَيْنِ^{١١} مَعًا عَلَى الْبَيَانِ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَوْفِينَ لِلَّهِ بِالْعَهْدِ، إِذْ لَمْ يُولِ الدَّبْرَ فِي حَرْبٍ قَطٍّ وَ لَا انْهَزَمَ فِي مَقَامٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ عَنِ الْأَعْدَاءِ، وَ لَا عَصَى نَبِيَّ اللَّهِ تَعَالَى^{١٢} فِي شَيْءٍ،

١- رض، مل، مر، رض: ٢: أمر.

٢- في الأصل: غير، صححناها على باقي النسخ.

٣- رض، رض: ٢: التمييز.

٤- مل: صلوات الله عليه.

٥- رض، مل، مر، رض: ٢: + من.

٦- سورة الإنسان (٧٦): ٨.

٧- رض: ٢: وكان المعنى في هذه الآية على اتفاق العلماء.

٨- حش، رض، مر، رض: ٢: فيه بذلك.

٩- سورة المائدة (٥): ٥٥.

١٠- حش: السبب. مر، رض: ٢: الاثر.

١١- حش، رض، مل: الآيتين. رض: ٢: التلفظ اللفظ في الاثنتين.

١٢- رض: ٢: عليه وآله السلام.

ولا فَرَطَ في عهد له عليه وعقد على حال^١. وكان عليه السلام من الصّابرين في البأساء والضّراء وحين البأس، بظاهر شجاعته^٢ وثبوتة في كلّ هول، من غير جزع ولا خور له معروف^٣ على حال، وليس يمكن القطع باجتماع هذه الخلال لأحدٍ سواه من الصّحابة وغيرهم من النّاس. فثبت أنّه هو الذي عناء الله تعالى بقوله: «وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»^٤. وهذا نصّ على فرض اتّباعه والطّاعة له والإيمان^٥ به في الدّين من معنى المنزل في القرآن.

فصل. ومن ذلك قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»^٦. فواجه الله سبحانه بالتّداء جماعة أضافهم إلى غيرهم بالولاء، وجعل علامة المنادى إليه إيتاءه^٧ الزّكاة في حال الرّكوع، بقوله سبحانه: «وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ولا خلاف عند أهل اللّغة [٩ظ] أنّ قول القائل^٨: «جاءني زيد راكباً»، وجاءني زيد في حال ركوبه، ورأيت عمراً قائماً ورأيت عمراً وهو قائم، ورأيت في حال قيامه، كلّ واحد من هذه الألفاظ يقوم مقام صاحبه ويفيد مفاده. وإذا ثبت أنّ الولاء في هذه الآية واجب لمن أتى الزّكاة في حال ركوعه، ولم يدّع أحد من أهل القبلة لأحد أنّه أتى الزّكاة في حال ركوعه، سوى أمير المؤمنين عليه السلام وجب أنّه المعنى بقوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا»^٩. وإذا ثبت ولايته حسب ولاية الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وجبت له بذلك الإمامة،

١- مل: كلّ حال.

٢- حش، مل، مر، رض: ٢. + عليه السلام.

٣- حش، رض، مل: ولا خور معروف له. مر، رض: ٢. ولا جاوز معروفاً له.

٤- سورة التوبة (٩): ١١٩.

٥- باقى النسخ: الايتام.

٦- سورة المائدة (٥): ٥٥.

٧- في الأصل وحش و مل: إتيانه، صححناها على رض، وفي مر و رض: ٢. بايتاء.

٨- رض، مل: + «جاءني زيد وهو راكب» يفيد مفاد قوله: «جاءني زيد راكباً».

٩- رض: واحدة.

١٠- أثبتناها من رض، مل، رض: ٢ و مر.

إذ كانت ولاية الله ورسوله صلى الله عليه وآله للخلق إنما هي فرض الطاعة التي تجب للرعية . وهذا كافٍ في معنى الآية عن إطالة خطب يتشربه الكلام .

فصل . مع أن الولاية في اللغة وإن كانت تكون بمعنى المودة فإنها في هذا الموضع غير متوجهة إلا إلى معنى فرض الطاعة ، لأن قوله تعالى : «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» جار مجرى قوله : «لَا وَلِيَ لَكُمْ إِلَّا اللَّهُ»^١ ومحال أن يقصد بالولاية هاهنا المحبة والمودة . ولأنه^٢ قد أخبر في آية أخرى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، فدل على أن الولاية بهذه^٣ الآية خاصة لأئمة المؤمنين عليه السلام بمعنى يزيد على المودة ، ولا وجه لما زاد على معنى المودة إلا ما ذكرناه من فرض الطاعة ، المقتضى لصاحبه من الخلق التقدم بالإمامة^٤ على من عداه من الأنام . وفي هذا القدر مع إيجازه غناء^٥ عما سواه ، والإبانة^٦ عما ذكرناه من تضمن الآية النص على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة حسب ما قدمناه .

فصل . وقد اشتبه على صَعْفَةِ من مخالفينا اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية المذكورة في القرآن ، لظاهر لفظ العموم في قوله^٧ : «وَالَّذِينَ آمَنُوا» فأنكروا لذلك أن يكون المعنى بها أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو واحد ، وهذا بُعد منهم عن اللغة ، إذ كانت قد أتت بمثله في مواضع كثيرة من القرآن كقوله تعالى : «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ»^٨ ، وهو لفظ عموم اختص بالبارى وحده تعالى^٩ .

١- في الأصل وحش: الأولى لكم الله. ضحناها على رض ومل.

٢- رض، مل: لأنه.

٣- حش، رض، مل: في هذه.

٤- حش: بأمر المؤمنين.

٥- رض، مل: بالإمام.

٦- رض، مل: غنى.

٧- رض، مل: وفي الإبانة.

٨- رض: + تعالى.

٩- سورة الحجر (١٥): ٩.

١٠- رض: خص بالبارى تعالى وحده.

وكذلك قوله: «إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ»^١ وقوله عز وجل: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ»^٢ ، وقوله: «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ»^٣ ، وقوله: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِن الطَّيِّبَاتِ»^٤ ، والمخاطب به رسول [٩٠] واحد . وقوله تعالى «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ»^٥ ، فواجه^٦ تعالى بلفظ التَّوْحِيد ، ثم اتَّبَعَ الكلام بلفظ الجمع . وقال المفسرون في قوله تعالى: «ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ»^٧ : إِنَّ النَّاسَ هَاهُنَا واحد ، وقوله^٨ تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ»^٩ نزلت في واحد بعينه نادى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ مدحى زين وإِنَّ شتمى شين .

وقد جنى مخالفونا في هذا الباب على أنفسهم^{١٠} جناية واضحة ، وذلك لقولهم إِنَّ السَّمْعَى يَقُولُ: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»^{١١} نزلت فسى واحد بعينه وهو أبوبكر بن أبى قحافة ، على قولهم ، فكيف جاز أن يعبر عن أبى بكر بلفظ الجمع^{١٢} ، وفسد أن يعبر عن أمير المؤمنين^{١٣} بذلك ، لولا الخزى^{١٤} والخذلان؟ نعوذ بالله من عدم التَّوْفِيق!

١- سورة نوح (٧١): ١.

٢- سورة الذاريات (٥١): ٤٧.

٣- سورة الغاشية (٨٨): ٢٥-٢٦.

٤- سورة المؤمنون (٢٣): ٥١.

٥- سورة الطلاق (٦٥): ١.

٦- حش، رض، مل: فواجهه.

٧- سورة البقرة (٢): ١٩٩.

٨- رض، مل: وقالوا في قوله.

٩- سورة الحجرات (٤٩): ٤.

١٠- رض، مل: على أنفسهم في هذا الباب.

١١- سورة الزمر (٣٩): ٣٣.

١٢- رض، مل: الجماعة.

١٣- حش، رض، مل: + عليه السلام.

١٤- فى الأصل وحش: الحين، صححناها على رض.

فصل . وأما مسألتهم^١ : من أين صار النَّصَّ أولى من الاختيار؟ فالجواب^٢ أنه كان كذلك لأنَّ مِن شرط الإمام أنه الأفضل عند الله والأعلم الأشجع الأصلاح ، وذلك ممَّا لا يعلم المستحقُّ له على التعيين بالعقل ولا بالحدس^٣ ، فثبت أنه لا طريق إليه إلا بالنَّصِّ من العالم بالسرائر ، والتَّوقيف منه عليه .

وأيضاً فإنَّ الإمام يجب أن يكون معصوماً كعصمة النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله و لا طريق إلى العلم بالعصمة إلاَّ من جهة النَّصِّ من صادقٍ عن الله ، أو علمٍ معجزٍ خارق للعادات .

وأيضاً فإنَّ الاختيار طريقه السَّمع دون العقول . وليس في الشَّرع فرض الاختيار ولا إباحته ، فبطلت الدَّعوى له في الإمامة ، وفي بطلانها ثبوت النَّصِّ والتَّوقيف .

فصل . وأما سؤالهم^٤ في الخبر المروى عن النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله أنه استخلف أبا بكر على الصَّلَاة . فالجواب^٥ أن ذلك من أخبار الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً ، وما كان هذا سبيله لم تثبت^٦ به حجة في الدين ، ولأنَّ الخبر بذلك جاء مختلفاً في لفظه ومعناه اختلافاً يتناقض ، والقصة واحدة ، فدلَّ على فسادِه بحسب ما ذكرناه .

١- حش، رض، مل: والجواب عن مسألتهم.

٢- حش، رض، مل: فإنه كان.

٣- حش، رض، مل: بالحدس.

٤- حش، رض، مل: والجواب عن سؤالهم.

٥- حش، رض، مل: فإنَّ ذلك من أخبار...

٦- حش، رض، مل: لم يثبت.

ولأنهم قد رووا عن النبي صلى الله عليه وآله رواية لا تنزع فيها ، أنه قال :
 «يؤمكم أقرؤكم للقرآن ، فإن استؤوا في القرآن فأفقهكم في الدين»^١ . ولم يكن
 أبوبكر أقرأ الصحابة^٢ ، لما رووه من [١٠] قوله صلى الله عليه وآله : «أقضاكم على^٣
 ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ^٤ ، وأفرضكم زيد^٥ ، وأقرؤكم أبي^٦ » . وإذا كان
 الأمر على ما ذكرناه لم يجوز أن يسنَّ صلى الله عليه وآله في إمامة الصلاة سنة ثم
 يخالفها إلى غيرها ، لما تضمنه القرآن من قول النبي صلى الله عليه وآله : «وما أريد
 أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه»^٨ . وهكذا جرت سنة الأنبياء^٩ لم يختلفوا فيها ، بل
 اتفقوا عليها من غير^{١٠} اختلاف .

فصل . ولو ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله أمره بالصلاة ، على ما ادَّعاه أهل
 الخلاف ، لما أوجب^{١١} ذلك له الاستخلاف في مقام النبوة ، ولا النص^{١٢} عليه
 بالإمامة ، إذ ليس في الاستخلاف على الصلاة دليل على دعواهم الاستخلاف في

١- روى البيهقي (في السنن الكبرى ١٢٥/٣) بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يؤمكم
 أقرؤكم لكتاب الله ، وأقدمكم قراءة للقرآن ، فإن كانت قراءتكم سواء فأقدمكم هجرة ، فإن كانت
 هجرتكم سواء فأقدمكم سنة . وروى الحاكم (في المستدرک علی الصحيحین ٢٤٣/١) بإسناده عن ابن
 مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يؤم القوم أكثرهم قرآناً ، فإن كانوا في القرآن
 واحداً فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة واحداً فأفقههم فقهاً ، فإن كانوا في الفقه واحداً فأكبرهم
 سنة . وانظر أيضاً سنن أبي داود ١٦٠/١ ح ٥٨٥ .

٢- رض ، مل : + للقرآن .

٣- بحار الانوار ١٤١/٤١ ، وراجع الغدير ٩٦/٣ للوقوف على مصادر هذا الحديث من العامة .

٤- في البداية والنهاية لابن كثير ٩٧/٧ مانصه : وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل . وفي حلية
 الأولياء ٢٢٨/١ : أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل .

٥- في كنز العمال ٦٨٤/١١ ح ٣٣٣٠٤ مانصه : أفرض أمتي زيد بن ثابت .

٦- في الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٩٨/٣ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرأ أمتي أبي .

٧- «وأقرأكم أبي» ليست في رض ومل .

٨- سورة هود (١١) : ٨٩ .

٩- رض ، مل : + عليهم السلام .

١٠- رض : + خلاف و .

١١- رض ، مل : وجب .

١٢- رض ، مل : ولا نص .

الإمامة، من عقل ولا عادة ولا شرع ولا لسان. وقد استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله ابن أم مكتوم على الصلاة في المدينة^١، ولم يكن ذلك دليلاً على استخلافه في الأنام^٢. وقد أُمّر رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص على أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح، وغيرهم من المهاجرين الأولين، واستخلفه عليهم في الحرب والصلاة، ولم يكن ذلك دليلاً على استخلافه في الإمامة العظمى على الأنام. واستخلف عُمر بن الخطاب صُهيياً مولاه على الصلاة بالمسلمين في مدة أيام الشورى، ولم يكن في ذلك دليل على استخلافه في مقامه على الأنام. هذا وهم أنفسهم يروون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»^٣، فأباح الصلاة خلف الفُجَّار، وما أباحه لأُمتِه جاز أن يتولَّى فعله، فلا يكون في تقديمه رجلاً للصلاة بالناس دليل على برِّه وطهارته، فضلاً عن أن يكون فيه دليل على إمامته للأنام^٤، مع أنَّهم قد ناقضوا فيما اعتقدوه ورووه من الأخبار، فرووا أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «يَوْمَ كُمْ خِيَارُكُمْ»^٥، فأوجب^٦ بهذا القول إلى^٨ أن يكون الإمام خيراً من المأموم.

١- حش، رض، مل: بالمدينة.

٢- رض: في الإمامة.

٣- روي البيهقي (في السنن الكبرى ١٩/٤) بإسناده عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وصلوا على كلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وجاهدوا مع كلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ. وراجع ايضاً: كنز العمال ٥٤/٦ ح ١٤٨١٥.

٤- رض: تقديم النبي صلى الله عليه وآله.

٥- رض، مل: الأنام.

٦- في كنز العمال ٥٩٦/٧ ح ٢٠٤٣٣: إِنْ شَرَكُمْ أَنْ تُقْبَلَ صَلَاتُكُمْ فَلْيُؤْمَرْكُمْ خِيَارُكُمْ.

٧- رض، مل: فوجب.

٨- «إلى» ليست في رض و مل.

ورروا أن أبا بكر قال: «وَلَيْتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ»^١. فنفى أن يكون خيراً من رعيته ، وذلك يبطل روايتهم^٢ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قدمه للصلاة ودلّ بذلك على أنه خيرهم . وإذا اختلفت أحاديثهم في هذا المعنى وتضادّت أقوالهم فيه على ما بيناه ، سقط التعلّق في الاحتجاج منهم^٣ بالصلاة ، على ما شرحناه . وقد أفردت في مسألة الصلاة المنسوبة إلى أبي بكر كتاباً [١٠] استقصيت الكلام فيه ، وشرحت وجوه القول في معناه ، فمن ظفر به أغناه في هذا الباب عما سواه ، إن شاء الله .

المسألة الثالثة عشر . وسأل أيضاً صاحب المسائل فقال: ما العلة التي قسّم بها أمير المؤمنين عليه السلام^٤ الغنائم بصّفين ولم يقسمها بالبصرة ، والطائفتان في فعلهما سواء ، بل أهل الجمل أعظم لنكثهم^٥ بعد إقرارهم وشبهة معاوية أقوى لطلبه^٦ بثار عثمان وهو وليّه وابن عمّه؟

والجواب . وبالله التوفيق :- الأمر على خلاف ما ظنّه السائل ، ولم يختلف حكم أمير المؤمنين عليه السلام في الفريقين ، ولم يقسم^٧ غنائم الطائفتين إلّا بما^٨

١- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١/١٦٩، وقال ابن سعد (في الطبقات الكبرى ٣/٢١٢): أخبرنا وهب بن جرير قال: أخبرنا أبي سمعت الحسن قال: لما بويع أبو بكر قام خطيباً - فلا والله ما خطب خطبته أحد بعد - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنّي وليت هذا الأمر وأنا له كاره ووالله ليؤدب أن بعضكم كفائيّه، ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعيل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم أقم به، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً أكرمه الله بالوحى وعصمه به، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقمّت فاتبعوني، وإن رأيتموني رُغث فقوموني، واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لاؤثر في أشعاركم وأبشاركم.

٢- رض: مبطل روايتهم. مل: مبطل روايتهم.

٣- رض: منهم في الاحتجاج.

٤- رض: صلوات الله وسلامه عليه.

٥- رض، مل: بنكثهم.

٦- مل: بطلبه.

٧- رض، مل: + من.

٨- رض، مل: ما.

حواه عسكره دون ما سواه ، ولم يبع اتباع مدبر من الفريقين ، ولا الإجهاز على جريحهم^١ من الفئتين ، ومن ظن أنه خالف بين حكمهما فقد ظن باطلاً ، على ما ذكرناه .

فصل . فأما الشبهة التي قويت عند السائل فهي ضعيفة جداً ، وليس لمعاوية ولاية في دم عثمان مع ولده ، فإن ادعى ولده التوكيل في ذلك ، ادعى لطلحة والزبير ، فيتساوى الدعويان^٢ مع أنه لم يتول أمير المؤمنين عليه السلام قتل عثمان ، فيكون لأحد من أنسابه مطالبته بذلك . ولو تولاه لكان المطالب به مبطلاً ، لأنه يكون مطالباً لمحق^٣ بما يلزم المبطل . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «عليّ مع الحق والحق مع عليّ . اللهم أدر الحق مع عليّ حيشما دار»^٤ . وقال صلى الله عليه وآله : «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره واخذل من خذله»^٥ . فأي شبهة مع هذا في جواز قتال أمير المؤمنين عليه السلام ؟

المسألة الرابعة عشر . وقال السائل رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله مقدماً للرجلين - أعنى ابا بكر وعمر - لغير شرف كان لهما في الجاهلية ولا كثرة عشيرة وظاهر شجاعة ، ثم صاحبهما^٦ وعظمهما حتى تمّ لهما بعده^٧ من الشبهة

١- رض، مل: جريح.

٢- رض: فإن ادعى لطلحة والزبير مثله فتساوى الدعوتان. مل: فإن ادعى طلحة والزبير مثله فتساوى الدعويان.

٣- رض، مل: لحق.

٤- الحديث متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، رواه اربعة وعشرون صحابياً ونقله من ائمة الحديث مائة وتسعة وعشرون في مصنفاتهم ، راجع أسانيدهم في كتاب «الحق مع عليّ» . لسماحة الشيخ مهدي فقيه ايماني.

٥- هذا الحديث متواتر قطعاً ، رواه مائة عشرة من الصحابة واربعة وثمانون من التابعين وثلاثمائة وستون من ائمة الحديث في مصنفاتهم ، راجع: إحقاق الحق ، عبقات الأنوار ، والتغدير .

٦- رض، مل: صانها .

٧- رض، مل: بعد .

ما تمّ ، لكبرهما^١ فى نفوس النَّاس ، فعَرَفْنَا هل كانا منافِقَيْن ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يعلم ذلك منهما ، ويقدِّمهما على علم به ، أم ارتدَّا بعده وحملهما الحسد على ما كان منهما ، وقد كان يسع الرسول صلى الله عليه وآله لما عَلم نفاقهما إطراحهما وأن لا يتزوَّج منهما؟

والجواب - وبالله التوفيق :- أقول إنَّ هذا السؤال مختلط غير مخلص ، وقد سمع صاحبه شيئاً فى موضع من المواضع فجعله فى غيره [١١ط] والذى سأل عنه القوم فى تقديم النَّاس أبا بكر ولم يكن من أشرف العرب نسباً ، ولا أكثرهم عشيرةً ، ولا أوفرهم مالاً ، وإنهم زعموا^٢ أن ذلك إنّما كان لفضل وجدوه له فى الدين .

فأما تقديم رسول الله صلى الله عليه وآله مَنْ قَدَّمَ ، فليس تدخل^٣ الشبهة على أحد فى أنه لم يفعل ذلك لشرف النَّسب أو عن العشيرة أو المال . فخلط السائل بين علل التَّقديم وأسبابهما . وتحقيق السؤال أن يقولوا: لِمَ قَدَّمَ رسول الله صلى الله عليه وآله الرَّجلين؟ أقَدَّمهما على علمٍ بفضلهما ورتبتهما ، أم قَدَّمهما وهو شاك فى ذلك ، أم متيقِّن ضده فىهما ونقيضه؟

فالجواب^٤ عن ذلك ، أننا لا نسلِّم للقوم أن النَّبى صلى الله عليه وآله قَدَّمَ الرَّجلين تقديمًا يدلّ على فضلهما فى الدين ، ولا عاملهما إلّا بما يقتضيه التدبير فيمن ظاهره بالإيمان^٥ والنصرة له بالكلام . فأما التَّقديم المنبئ عن منازل الثَّواب ، فلم يكن من رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا فيمن أطلعه الله تعالى^٦ على مغيبه

١- رض، مل: + كان.

٢- رض، مل: + على.

٣- رض، مل: يدخل.

٤- رض: ولا عزّ.

٥- رض، مل: أو.

٦- حش، رض، مل: + أيضاً.

٧- رض: الايمان.

٨- رض: رسول الله.

من أهل الدين ، وقد قال الله جلّ اسمه: «اذْفَعْ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»^١. ولو قلنا إنّ النّبِيَّ صَلَّى الله عليه وآله وضعهما بحيث يستحقّه المشكوك في نيّته أو^٢ المعروف بأمارات عداوته ، لكنّا نقول مقالاً واضحاً عند أهل الاعتبار. ألا ترى أنّ رسول الله^٣ صَلَّى الله عليه وآله منعهما من شريف المقام في الجهاد ، ولم يَأْتِنهما على المبارزة والنزال ، وأنّه عرضهما بخير للقتال ، فانكشف عنهما من سوء الحال فيه ما حقّق ضعف بصائرهما في الجهاد ، فردّا راية رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وغرّا أهل الإسلام بما كان منهما في الانهزام ، ولم يشبنا في يوم أُحُد ، وولّيا في يوم حُنين الاديبار ، ولم يرهما صَلَّى الله عليه وآله أهلاً لولاية في حياته ، ولا إمارة على طائفة من الأُمّة قبل وفاته .

وسلم إلى أبي بكر عشر آيات من سورة براءة لينبذ بها عهد المشركين ، فنزل جبرائيل^٤ الأمين من عند الله العليّ العظيم بمنع^٥ ذلك وصرفه عن الأداء ، وتولية^٦ أمير المؤمنين عليه السلام ذلك المقام . وقدّ عليهما تارة عمرو بن العاص ، وتارة أخرى أسامة بن زيد مع كونه في عداد [١١] الأحداث . وردّهما عن تزويج فاطمة عليها السلام ، ولم يرهما أهلاً للمصاهرة بها عليها السلام . ولمّا استشار^٧ الناس في الأسرى بيدٍ أشارا عليه^٨ بما انصرف عنه فخالفهما فيما رأياه . ولمّا رأت عائشة تقدّم أبيها أبي بكر في الصّلاه على نفرٍ من أهل الإسلام ، وعلم النّبِيَّ صَلَّى الله عليه وآله ذلك^٩ ، بادر معجلاً - وهو من المرض والاضطرار إلى الدّعة

١- سورة فصلت (٤١): ٣٤.

٢- رض: و.

٣- رض، مل: أنّه ص.

٤- حش، رض، مل: جبرئيل.

٥- حش: يمنع.

٦- رض، مل: فتولاه.

٧- رض، مل: + عليه السلام.

٨- رض: إليه.

٩- رض: علم ذلك النّبِيَّ.

والرفاهية^١ على أظهر حال - حتى عزله عن الصلاة، ولم يرضه لذلك المقام في أمثال ما ذكرناه مما يطول باستقصائه الكلام. فأئى تقديم كان منه صلى الله عليه وآله لهما في الدين يؤمّوه الأمر فيه على النصاب لولا أنهم جهال أغمار؟

فصل . فأما سؤالهم عن علم رسول الله صلى الله عليه وآله بباطنهما في الاعتقاد، فإن أصحابنا قد أجابوا عن ذلك بثلاثة اجوبة:

أحدها أن قالوا: لم يكن عليه السلام عالماً بباطنهما في ذلك، لأن الله تعالى ستره عنه كما ستر بواطن غيرهما من الناس. فقال تعالى: «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ»^٢.

الثاني أن الأمر مشتبّه في الباب^٣، فجاز^٤ أن يكون الله تعالى أطلععه على باطنهما فعرفه حق المعرفة، وجاز^٥ أن يكون ستره عنه. وليس على أحد الأمرين دليل.

الثالث أنه قد كان يعرف باطنهما على القطع والثبات.

والقول بأنهما كانا على حقيقة الإيمان أو التفاف مما يختلف فيه أصحابنا أيضاً.

فمنهم من يقطع على سلامة باطنهما في أول الأمر.

ومنهم من يقطع^٦ على خبث سرائرهما في الدين، وهم أصحاب الموافاة من أصحاب الإمامة^٧ ومعهم بذلك دلائل عقلية وسمعية معاً على الاتفاق. ومنهم من يقف في ذلك.

١- رض، مل: إلى الرفاهية والدعة.

٢- سورة التوبة (٩): ١٠١.

٣- رض، مل: في هذا الباب.

٤- رض، مل: فجاز.

٥- حش، رض، مل: وجاز.

٦- حش، رض، مل: ومنهم من يقف في ذلك. ومنهم من يقطع.

٧- حش، رض، مل: أهل.

وليس يمكن المخالف^١ التعلق بفعل من رسول الله^٢ صلى الله عليه وآله بهما ،
يضاد القول الذى حكيناه عن أصحاب الموافاة . والمدعى على النبى
صلى الله عليه وآله الإجلال لهما والإعظام ، مقتصر فى^٣ الدعوى على ذلك بغير
برهان ، فلا وجه للتشاغل بالكلام على وجوه أفعال لم تثبت بحجة عقل ، ولا خبر
معلوم ، ولا حجة كتاب .

فصل . فأما تزوج^٤ النبى صلى الله عليه وآله بانيتهما ، فغير مضاد للقول بعلمه
من باطنهما ما ذكرته الإمامية من أصحاب الموافاة ، لأنه قد تزوج^٥ بنات المنافقين
والكفار ، فتزوج بسودة^٦ بنت زمعة [١٢ظ] وكان أبوها مشركاً ومات على الضلال .
وتزوج برملة بنت أبى سفيان قبل الهجرة وكان أبوها إذاك أكبر رؤوس الكفار ،
وصاحب الحروب مع النبى^٧ صلى الله عليه وآله فى مقام بعد مقام . وتزوج بصفية
بنت حى بن أخطب بعد أن أعتقها ،^٨ و^٩ قتل أباهما على الكفر والضلال . فأى شبهة
تدخل على عاقل فى سلامة^{١٠} بواطن آباء أزواج النبى صلى الله عليه وآله وإخوتهم
وأقاربهم مع ما ذكرناه . وفى هذا القدر كفاية وغناء^{١١} فى هذا الباب عما^{١٢} سواه .

المسألة الخامسة عشرة . وسأل أيضاً عن تزويج أمير المؤمنين عليه السلام
ابنته أم كلثوم عمر بن الخطاب ، وقد عرف خلافه وكفره . وقول الشيعة «إنه رد أمرها

١- مل: للمخالف.

٢- رض: بفعل رسول الله.

٣- رض، مل: على.

٤- رض: تزويج.

٥- حش، مل: + عليه السلام.

٦- فى الأصل وحش ورض و مل: بسلمة، لعله تصحيف، صححناه على رض ٢.

٧- رض: حروب النبى. مل: حروب النبى معه.

٨- حش، رض، مل: + قد.

٩- رض ٢: معرفته.

١٠- رض، مل: غنى.

١١- فى الأصل: عمن، صححناها على باقى النسخ.

إلى العباس» يدلّ [على] أنّه كان يرى تزويجه في الشريعة، لأنّه^٢ لو لم يجز لما ساع له التزويج^٣ والتوكيل فيه. قال السائل: فان كان عمر مسلماً فلم امتنع على^٤ من مناكحته ثم جعل ذلك إلى العباس رضى الله عنه^٥؟

والجواب - وبالله التوفيق -: أنّ المناكح^٦ على ظاهر الإسلام دون حقائق الإيمان. والرجل المذكور، وإن كان بجحده النصّ ودفعه الحقّ قد خرج عن الإيمان، فلم يخرج عن الإسلام لإقراره بالله ورسوله صلى الله عليه وآله واعترافه بالصلاة والصيام والزكاة والحجّ. وإذا كان مسلماً بما ذكرناه جازت مناكحته من^٧ حكم الشريعة. وليس يمتنع كراهة مناكحة من يجوز مناكحته^٨، للإجماع على جواز مناكحة الفاسقين من أهل القبلة لفسقهم، وإن كانت الكراهة لذلك لا تمنع من إباحته^٩ على ما بيناه.

وقد ورد عن أهل البيت [عليهم السلام]^{١٠} كراهة مناكحة شارب مسكر، وقالوا: «مَنْ زَوَّجَ ابْنَتَهُ شَارِبَ الْخَمْرِ» فكأنّما قادها إلى الزنا^{١١} ولا خلاف أنّه إن عقد عليها لشارب^{١٢} خمر على سبيل التحريم، أنّ العقد ماضٍ وإن كان مكروهاً.

١- أثبتناها عن رض و مل.

٢- مل: إذ.

٣- «التزويج و» ليس في رض و مل.

٤- رض: + عليه السلام.

٥- «رضى الله عنه» ليست في حش و رض و مل.

٦- رض: المناكحة.

٧- حش، رض، مل: في.

٨- في الأصل: مناكحه، صححناها على باقي النسخ.

٩- «وإن كانت الكراهة لذلك لا تمنع من إباحته» ليست في رض و مل.

١٠- أثبتناها عن باقي النسخ.

١١- في الأصل و حش: خمر، صححناها على رض و مل ومصدر الحديث.

١٢- عن الصادق عليه السلام أنّه قال: شارب الخمر إذا مرض فلا تعودوه - إلى أن قال - وإذا خطب إليكم فلا تزوجوه، فإنه من زوّج ابنته شارب الخمر، فكأنّما قادها إلى الزنى. (مستدرک الوسائل

١٩١/١٤.

١٣- مل: شارب.

وهذا يسقط شبهة الخصم في تزويج أمير المؤمنين عليه السلام عمر بن الخطاب ، وما أورده في توكيله العباس في ذلك ، وتوهم المناقضة^٢ والتضاد^٣ .

فصل . وقد قال بعض الشيعة إنه عليه السلام كان فيما فعله من ذلك مضطراً ، وإنما جعل الأمر فيه إلى العباس ولم يتولّه بنفسه ليدلّ بذلك على اضطراره إليه ، فالضرورة تبيح ما يحظره الاختيار . وهذا أيضاً يسقط شبهة الخصم التي تعلق بها .

فصل . وبالجملّة؛ إنّ مناقحة الضّال قد وجدت من الأنبياء عليهم السلام [١٢و] عملاً وعرضاً ودعاءً ، ولم يمنع من ذلك ضلالهم ، ولا أوجب موالاة الأنبياء لهم ، ولا دلّ على ذلك . ألا ترى أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أنكح ابنتيه برجلين كافرين ، وهما عتبة بن أبي لهب وأبو العاص بن الربيع ، ولم يقض^٥ ذلك بضلاله صلى الله عليه وآله ولا هداهما ، ولا منعت المناكحة بينهما من براءة^٦ منهما في الدين . وقد قال الله تعالى مخبراً عن لوط عليه السلام: «هُؤلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ»^٧ . فعرض بناته على الكفار من قومه ، وقد أذن الله في إهلاكهم^٨ ، ولم يقتض^٩ ذلك بولايتهم لهم ، ولا منع من عداوتهم في الدين .

وقد أقرّ رسول الله المنافقين على نكاح المؤمنات ، وأقرّ المؤمنين على نكاح المنافقات^{١٠} ، ولم يمنع ذلك من تباين الفريقين في الدين . وهذا القدر كافٍ في جواب ما سأل عنه السائل . ولي في هذه المسألة كتاب مفرد قد استقصيت الكلام

١-رض: وقد.

٢-رض، مل: + به.

٣-رض، مل: + فيه.

٤-رض، مل: وفي الجملة.

٥-رض: ولم يقض.

٦-رض، مل: براءة ته.

٧-سورة هود (١١): ٧٨.

٨-رض، مل: هلاكهم.

٩-رض، مل: ولم يقض.

١٠-رض، مر: وقد أقرّ رسول الله ص على نكاح المنافقين.

فيه فمن وجده وتأمله أغناه في معناها عما سواه ، إن شاء الله^١.

المسألة السادسة عشرة. قال^٢ السائل: إذا صحَّ النصّ^٣ بحديث الغدير وغيره وكانت الأنصار قد سمعت ذلك وعرفته ، فكيف دعت إلى أنفسها؟ أتراها أنسيت^٤ ذلك حين اجتمعت^٥ على سعد بن عُبادة أم عاندت فيه؟ وما بالهم لما رأوا الأمر خارجاً عنهم إلى قريش لم يذعنوا بالحقّ ويظهروا ما أبطنوه ، ويردّوا الأمر إلى صاحبه ، ويمنعوا قريشاً منه بذكر النصّ والاحتجاج به؟

والجواب - وبالله التوفيق -: أن الأنصار لم تنس ذلك النصّ ولا جهلت معناه ، وإنما أقدمت على طلب الأمر والاستبداد به كما يقدم المسلم على ارتكاب محظور على غير الاستحلال له ، لدواعٍ تدعوه إلى ذلك ، وشهوات واستعجال اللذات ، ومحبة التأمّر في الدنيا والرياسات ، ولا يكون بفعله ذلك ناسياً للشرع ولا معانداً فيه .

فصل. فأما تركهم الإقرار بالنصّ عند خروج الأمر عنهم ، فذلك لأسباب اقتضته:

أحدها: طمعهم في نيّله من بعد . فلو اعترفوا بالنصّ لأيسوا من الظفر به مع حصوله في المنصوص عليه .

الثاني^٦: أنّهم كرهوا أن يظهروا ضلالهم فيما سبق منهم من^٧ ادّعاء الأمر فأمسكوا عن الإقرار بالحقّ لذلك .

١- حش، رض، مل: + وبه التوفيق.

٢- حش، رض، مل: وقال.

٣- رض، مل: + له.

٤- رض، مل: نسيت.

٥- رض: اجمعت.

٦- حش، رض، مل: والثاني.

٧- رض، مل: في.

الثالث^١: أنهم اعتقدوا في الإقرار بالنصّ ظهور باطلهم في الدعوة إلى [١٣ظ] أنفسهم مع قرب^٢ ما يرجونه من إخراج الأمر عن قريش إلى صاحبه ولا يكونون^٣ حينئذ قد نالوا غرضاً صحيحاً في الاعتراف بالنصّ، اللهم إلا أن يريدوا لله عزّاسمه^٤؛ وليس كلّ واحد^٥ يرى الرجوع في كلّ حال إلى الله تعالى^٦، وإنما يرى ذلك من ترتفع^٧ عنه دواعي الدنيا، ولم تكن مرتفعة عن طائفة من الأنصار، فكذا قاموا^٨ على ما كانوا عليه من دفع النصّ^٩ والإنكار.

فصل. وقد قال بعض الشيعة إن الأنصار لم تدعو إلى أنفسهم لتتأمر على الأمة وتقوم في مقام الخلافة، وإنما دعوا إلى الأمر والتدبير مدة شغل أمير المؤمنين^{١٠} بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وفراغ قلبه للنظر في أمر الإمرة من المصيبة به^{١١}. وهذا هو الظاهر من دعواهم، لقولهم: «منا أميرٌ ومنكم أميرٌ»^{١٢} ولم يقولوا: «نحن الأئمة والخلفاء»، ولا منا خليفة ولا إمام، ومنكم خليفة أو

١- حش، رض، مل: والثالث.

٢- رض: قوة.

٣- حش، رض: ولا يكونوا، مل: ولا يكون.

٤- حش، رض، مل: عز وجل.

٥- حش، رض، مل: أحد.

٦- حش، رض، مل: عزّاسمه.

٧- رض، مل: يرتفع.

٨- رض، مل: فلذلك أقاموا.

٩- رض، مل: الدفع للنصّ.

١٠- حش، رض، مل: + عليه السلام.

١١- رض: + صلى الله عليه وآله.

١٢- في صحيح البخاري، باب مناقب المهاجرين (٢/٢٩١): واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أميرٌ ومنكم أميرٌ. فذهب اليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردتُ بذلك إلا أتى قد هتأتُ كلاماً قد أعجبني خشيتُ أن لا يبلغه أبو بكر. ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ. فقال أبو بكر: لا، ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعرهم أجساباً، فبايعوا عُمرَ أو أبا عبيدة! فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس.

إمام^١. وهذا يسقط سؤال السائل وما فرّع عليه من الكلام.

فصل. وقال أيضاً بعض الشيعة إن الذي منع عند فوت الأمر لهم من الإقرار بالنص والشهادة به أنهم كانوا في أول أمرهم وطلبهم الرياسة قاصدين^٢ غرضين: أحدهما إزالته عن المنصوص عليه. والثاني حوزة دون قریش. فلما فاتهم أحد الغرضين حصل لهم الآخر فلم يقع^٣ منهم الاعتراف بالنص، لمناقضته^٤ أحد الغرضين المذكورين ومناقضة^٥ الغرض الآخر، بل من^٦ العقلاء. والجوابان الأولان أشبه بالأصل الذي قدّمناه في الجواب عن طلبهم الأمر، وأقرب وضوحاً عند ذوى العقول والدين. وإليهما أذهب وعليهما أعول دون الآخرين^٧ وإن كانا مستطيين لا اعتراض الخصوم على كل حال.

المسألة السابعة عشرة، وقال السائل: اعترض فلسفى فقال: إذا قلت إن الله^٨ وحده لا شىء كان معه، فالأشياء المحدثّة من أى شىء كانت؟ فقلنا له: مبتدعة لا من شىء. فقال: أحدثهما معاً أو فى زمان بعد زمان؟ قال، فإن قلت: معاً، أوجدناكم أنّها لم تكن معاً وأنّها حدثت شيئاً بعد شىء. وإن قلت: أحدثها فى زمان بعد زمان، فقد صار معه شريك وهو الزمان.

والجواب - وبالله التوفيق -: أن الله^٩ لم يزل واحداً لا شىء معه ولا ثانى [١٣] له، وأنّه ابتدأ ما أحدثه فى غير زمان. وليس يجب إذا أحدث بعد الأوّل

١- حش: ولا منّا خليفة ولا منّا إمام ومنكم إمام. رض، مر: ولا منّا خليفة ومنكم خليفة، ولا منّا إمام ومنكم إمام.

٢- حش، رض، مر: + به.

٣- رض، مل: فلم يصح.

٤- رض، مل: لمناقضة.

٥- حش: ومناقضته.

٦- رض: عند.

٧- رض: الآخرين.

٨- حش، رض، مل: + تعالى.

٩- رض، مل: + تعالى.

حوادث أن يُحدثها في زمانٍ، ولو فعل لها زماناً لما وجب بذلك^١ قَدَم الزَّمان ، إذ الزَّمان حركات الفلك أو ما يقوم مقامها ممَّا هو بقدرها في التَّوقيت . فمن أين يجب عند هذا الفيلسوف أن يكون الزَّمان قديماً إذا^٢ لم توجد الأشياء ضربةً واحدةً ، لولا أنه لا يعقل معنى الزَّمان؟

فصل. على أنه يُقال لمن ظنَّ أنَّ الأفعال لا تكون إلَّا في زمان ، خَبَرنا عمَّا بين الزَّمانين المتَّصلين: أهو زمان أو غير زمان؟ فإن قالوا: زمان ، أحوالوا بجعلهم^٣ بينهما فصلاً^٤ ، والمسألة عن غير هذا . وإن قالوا: لا زمان بينهما ، اعترفوا بتقدير فعل لا في زمان . وإن زعموا أنَّ الزَّمان شيء واحد لا يتقدَّم بعضه بعضاً ، أوجبوا^٥ أن يكون الموجود في سنة أربع مائة من الهجرة هو الموجود في أوَّل سنة من الهجرة ، والموجود في عهد آدم^٦ على الابتداء مبتدأ في عهد النبي صَلَّى الله عليه وآله^٧ وأنَّ زمان آدم هو زمان محمَّد صَلَّى الله عليه وآله^٨ وهذا تجاهل لا خفاء به .

المسألة الثامنة عشرة. قال السائل: خَبَرنا عن الفرق بين الزَّمان والدَّهر ، وقول الله تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً»^٩ . قال: ونحن نقول إنَّ الأشباح مخلوقة قديمة .

والجواب عمَّا تضمَّنه هذا الفصل من المسائل: أنَّ الزَّمان هو ما ضمن شيئاً

١- ساقطة من رض و مل.

٢- حش، رض، مل: إذ.

٣- في الأصل: بجعل، صَحَّحَها على سائر النسخ.

٤- في الأصل و حش: فضلاً، صَحَّحَها على باقي النسخ.

٥- رض ٢: جَوَّزُوا.

٦- حش، رض، مل: + عليه السلام.

٧- حش، مل، رض ٢: عليه السلام.

٨- حش، مل، رض ٢: عليهما السلام.

٩- سورة الإنسان (٧٦): ١.

مفروضاً فأضيف إليه كقولهم: كان كذا في^١ زمن آدم^٢ أو زمان سليمان^٣ ونحو ذلك .
والدَّهر ما امتدَّ من الأوقات وطال ولم يصف إلى شيء بعينه . فالزَّمان على ما
ذكرناه أقصر من الدَّهر ، والدَّهر أطول من الزَّمان .

فصل . ومعنى قوله تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ» ، قد أتى
على الإنسان طائفة من الدَّهر^٤ وبعض الدَّهر لم يكن فيه شيئاً مذكوراً . والحين ،
على ما جاء به الأثر ، ستَّة أشهر ومقدارها من الزمان ، قال تعالى: «تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ
حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»^٥ وهي: تأتي بثمرها في كل ستَّة أشهر ، ولَسْنَا نَقْطَعُ عَلَى أَنَّ الْحِينِ
الَّذِي كَانَ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ هذا القدر بعينه . وإنما يجعل^٦ معنى الحين في الشرع
وحكمه [١٤ظ] ما قدرناه للأثر^٧ ، على ما بيَّناه .

فصل . وأما^٨ قوله إِنَّ الْأَشْيَاحَ مَخْلُوقَةٌ قديمة ، فهو باطل وكلام^٩ متناقض .
اللَّهِمَّ إِلَّا أَنْ يَرِيدَ بِذِكْرِ الْقِدَمِ تَقَدَّمَ الزَّمان الذي لا ينافي الابتداء والحدوث ، فذلك
مما يسلم به الكلام من التناقض . إِلَّا أَنَّا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: الْأَشْيَاحُ قديمة
ومخلوقة^{١٠} ، ولا ما عناه بذلك ، فيكون كلامنا بحسبه ، والقول بأنَّ الْأَشْيَاحَ قديمة ،

١- حش: + كذا أو.

٢- رض: + عليه السلام.

٣- «من الدهر» ساقطة من رض.

٤- حش، رض، مل: + الله.

٥- سورة إبراهيم (١٤): ٢٥

٦- رض، مل: نجعل.

٧- رض، مل: ما قدره الأثر.

٨- رض، مل: فأما.

٩- رض، مل: كلامه.

١٠- حش: قديمة مخلوقة.

١١- في الأصل وحش و مل: أشباحا. وفي رض: أشباحنا، ولعل ما اخترناه أنسب لما يقتضيه السياق.

بدع من القول^١ لم يثبت عن صادق عن الله سبحانه فيما نعرفه^٢، إلا من كلام طائفة من الغلاة وعامة لامعرفة لهم بمعانى الكلام.

المسألة التاسعة عشرة. قال السائل: وخبرنا^٣ عن الجنة والنار: أُخِلِّقْتَا أم لا؟ وعن الصور: أى شىء هيئته^٤؟ وعن^٥ الريح: من أى شىء خُلِّقَتْ؟

والجواب عن هذه المسائل^٦: أَنَّ الجنة والنار مخلوقتان، على ما جاء به الأثر عن النبي صلى الله عليه وآله، وهما أيضا مسكونتان تسكنهما الملائكة إلى يوم المآب، فيسكنهما حينئذ الإنس والجان. وأما الصور فهو جمع صورة لأنه يُقال: صُور^٧ وصُور، كما يُقال فى جمع السورة: سُور وسُور. والمعنى فى قوله: «وَنُفِخَ فِى الصُّوْرِ»^٨ يريد به إحياء الصور من الجن والإنس وكل مصوّر مات فى الدنيا، فجعل إنشاء الحياة فيها كالنفخ فى الجسم^٩ يحركه. فشبه الحياة التى تكون فيها حركة الأجسام بالنمو، بالريح التى يتحرك فيها ما جاورها من الاجسام.

فصل. فأما الريح فليس لها أصل خلقت منه مقطوع به. وقد قيل إنها بخار الأرض وما يتحلل من الأجسام بالاستحالة وهى أجسام لطاف شفاف^{١٠} تتحرك

١- حش، مل: المقال. رض: المقام.

٢- مل: ولم نعرفه. رض: ولم يعرفه.

٣- رض: خَبَرْنَا.

٤- فى الأصل خلقتا، صححناها على حش و مل و مر. وفى رض: أخلقا.

٥- حش: هى.

٦- «عن» ساقطة من باقى النسخ.

٧- رض، مل: + الثلاث.

٨- حش، رض: صورة.

٩- سورة الكهف (١٨): ٩٩ وغيرها.

١٠- رض، مل، رض ٢: + الذى.

١١- رض: لطافة شفاقة. مل، مر، رض ٢: لطاف شفاقة.

وتسكن ، وتجتمع وتفترق ، وتسخن وتبرد^١ ، وتلذ وتؤلم. يقضى بذلك^٢ المشاهدة ويستغنى بالظهور عن الاستدلال عليه.

المسألة العشرون. قال السائل: الإمام عندنا [مجمع]^٣ على أنه يعلم ما يكون ، فما بال أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم^٤ أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان؟ وما بال الحسين عليه السلام صار إلى أهل الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه ، وأنه مقتول في سفرته [١٤و] تلك^٥ ؟ ولم لما حوَصر - وقد علم^٦ أن الماء منه لو حفر على أذرع يسيرة - لم يحفر^٧ ، ولم أعان على نفسه حتى تلف عطشاً؟ والحسن عليه السلام وادع معاوية^٨ وهو يعلم أنه ينكث ولا يفى ويقتل شيعة أبيه ، عليهما السلام.

والجواب - وبالله التوفيق - : [عن]^٩ قوله: إن الإمام يعلم ما يكون بإجماعنا^{١٠} ، أن الأمر على خلاف ما قال. وما أجمعت الشيعة قط على هذا القول ، وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحكم في كل ما يكون ، دون أن يكون عالماً بأعيان ما يحدث ويكون ، على التفصيل والتمييز. وهذا يسقط الأصل الذي بنى عليه الأسئلة بأجمعها.

فصل. ولسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان الحوادث^{١١} تكون بإعلام الله تعالى له

١- «وتسخن وتبرد» ساقطة عن مل.

٢- رض، مل: + الحسن.

٣- أثبتناها عن حش، رض، مل.

٤- رض: وقد يعلم. مل: وقد علم.

٥- رض، مل: تيك.

٦- حش: وقد عرف. مل، رض: ولم لما حضر وقد عرف.

٧- مر، رض٢: ولم لما حضر وعرف أن الماء قد منع منه وأنه إن حفر أذرعاً قريبة نبع الماء ولم يحفر.

٨- مر، رض٢: + وهاوئه.

٩- أثبتناها عن مر ورض٢.

١٠- مر، رض٢: فإجماعنا أن الأمر...

١١- رض، مل: حوادث. مر، رض٢: ما يحدث.

ذلك. فأما القول بأنه يعلم كل ما يكون ، فلسنا نطلقه ولا نصوب قائله لدعواه فيه من غير حجة ولا بيان.

فصل. والقول بأن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم قاتله والوقت الذي يقتل فيه ، فقد جاء الخبر متظاهراً أنه كان يعلم في الجملة أنه مقتول. وجاء أيضاً بأنه كان يعلم قاتله على التفصيل^١ ، فأما علمه في وقت^٢ قتله فلم يأت فيه أثر على التفصيل ، ولو جاء فيه أثر^٣ لم يلزم ما ظنه المستضعفون ، إذ كان لا يمتنع أن يتعبده الله بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل ، ليلبغه الله بذلك من علو الدرجة ما لا يبلغه إلا به ، ولعلمه تعالى بأنه يطيعه في ذلك طاعة لو كلفها سواه لم يؤدها ، ويكون في المعلوم من اللطف بهذا التكليف لخلق من الناس ما لا يقوم مقامه غيره ، فلا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقياً بيده إلى التهلكة ، ولا معيناً على نفسه معونة مستقبحة في العقول.

١- روى الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد ص ٦) تحت عنوان «الأخبار التي جاءت بذكره عليه السلام الحادث قبل كونه، وعلمه به قبل حدوثه»: عن الأصم بن نباته، قال: أتى ابن ملجم أمير المؤمنين فبايعه عليه السلام فيمن بايع، ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام فتوثق منه وتوكل عليه ألا يغدر ولا ينكت، ففعل ثم أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام الثانية فتوثق منه وتوكل عليه ألا يغدر ولا ينكت، ففعل ثم أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين الثالثة فتوثق منه وتوكل عليه ألا يغدر ولا ينكت، فقال ابن ملجم لعنه الله: والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا باحد غيري. فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أريد حباؤه ويريد قتلى
عذيرك من خليلك من مراد
امض يا ابن ملجم! فوالله ما أرى أن تفي بما قلت.

٢- باقى النسخ: بوقت.

٣- روى الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد ص ٨) في حديث آخر: أن أمير المؤمنين عليه السلام قد سهر تلك الليلة فأكثر الخروج والنظر الى السماء وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت وأنها الليلة التي وعدت بها، ثم يعاود مضجعه، فلما طلع الفجر شد إزاره وخرج وهو يقول:

اشدد حياذيك للموت فإن الموت لا قيسكا
ولا تجزع من الموت إذا حمل بواديك

فلما خرج الى صحن داره استقبلته الإوز فصحن في وجهه، فجعلوا يطردونه، فقال: دعوهن فأنهن نوائح، ثم خرج فأصيب عليه السلام. راجع أيضا بحار الانوار ج ٤٢ (باب اخباره صلوات الله عليه بشهادة نفسه) ص ١٩١ - ١٩٩

فصل. فأما علم الحسين عليه السلام بأن أهل الكوفة خاذلوه، فلسنا نقطع على ذلك إذ لا حجة عليه من عقل ولا سمع. ولو كان عالمًا بذلك لكان الجواب عنه ما قدمناه في الجواب عن أمير المؤمنين عليه السلام بوقت قتله والمعرفة بقاتله لما ذكرناه.

فصل. أما دعواه علينا أننا نقول إن الحسين عليه السلام كان عالمًا بموضع الماء وقادراً عليه، فلسنا نقول ذلك ولا جاء به خبر على حال، وظاهر الحال التي كان عليها الحسين عليه السلام في طلب السماء والاجتهاد [١٥٨] فيه يقتضي بخلاف ذلك. ولو ثبت أنه كان عالمًا بموضع الماء لم يمتنع في العقول أن يكون متعبدًا بترك السعى في طلب الماء من ذلك الموضع، ومتعبدًا بالتماسه من حيث كان ممنوعًا منه حسب ما ذكرناه في أمير المؤمنين عليه السلام، غير أن الظاهر^٢ في

١- روى أنه صلوات الله عليه لما عزم على الخروج إلى العراق رقام خطيباً فقال: الحمد لله وما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف. وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي يتقطعها إعلان الغلوات، بين النواويس وكر بلا، فيملأن منى أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم... من كان فينا باذلاً مُهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصيحاً إن شاء الله. (بحار الانوار ٣٦٦/٤٤).

وقال عليه السلام في خطبته ليلة عاشورا: أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوفى من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً، ألا وإني لا أظن يوماً لنا من هؤلاء، ألا وإني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم منى ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً. (الارشاد ص ٢١٤ وبحار الانوار ٣٩٢/٤٤ وانظر تاريخ الامم والملوك - للطبري - ٣١٧/٤).

٢- قال (محمد بن أبي طالب): ورجعت خيل ابن سعد حتى نزلوا على شاطئ الفرات، فحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، وأضر العطش بالحسين وأصحابه، فأخذ الحسين عليه السلام فأساً وجاء إلى وراء خيمة النساء، فخطا في الأرض تسع عشر خطوة نحو القبلة ثم حفر هناك، فنبعت له عين من الماء العذب، فشرب الحسين عليه السلام وشرب الناس بأجمعهم، وملأوا أسقيتهم، ثم غارت العين، فلم ير لها أثر، وبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى عمر بن سعد: بلغني أن الحسين يحفر الآبار، ويصيب الماء، فيشرب هو وأصحابه، فانظر إذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيق عليهم، ولا تدعهم يذوقوا الماء، وافعل بهم كما فعلوا بالزكي عثمان، فعندها ضيق عمر بن سعد عليهم غاية التضييق. (بحار الانوار ٣٨٧/٤٤).

٣- رض: ظاهر الحال.

خلاف ذلك ، على ما قدّمناه.

فصل . والكلام فى علم الحسن عليه السلام بعاقبته حال موادعته معاوية
 بخلاف ما تقدّم ، وقد جاء الخبر بعلمه ذلك ، وكان شاهد الحال له يقتضى به ، غير
 أنّه دفع به عن تعجيل قتله وتسليم اصحابه^١ الى معاوية. وكان فى ذلك لطف فى
 مقامه إلى حال معيّنة ولطف لبقاء كثير من شيعته وأهله وولده ، ورفع لفساد فى
 الدّين هو أعظم من الفساد الذى حصل عند هدنته ، وكان عليه السلام اعلم^٢ بما
 صنع لما ذكرناه ، وبيّن الوجه^٣ فيه وفصلناه.

المسألة الحادية والعشرون

وسأل عن قوله تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَيِّدُ بِنُصْرَتِنَا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآيَاتِ هَادُونَ» وقال: فى هذه الآية تأكيد^٥ فقد أوجب تعالى بأنّه ينصرهم فى
 الحالىن جميعاً فى الدنيا والآخرة ، وهذا الحسين بن علىّ عليهما السلام حجة الله

١- رض. مل: + له:.

٢- عن سليم بن قيس قال: قام الحسن بن علىّ بن ابي طالب عليهما السلام على المنبر حين اجتمع
 مع معاوية، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنّ معاوية زعم أنّى رأيته للخلافة أهلاً، ولم أر
 نفسى لها أهلاً، وكذب معاوية، أنا أولى الناس بالناس، فى كتاب الله وعلى لسان نبيّ الله، فأقسم
 بالله لو أنّ الناس بايعونى وأطاعونى ونصرونى لأعطيتهم السماء قطرها والارض بركتها، ولما طمعت
 فيها يا معاوية... وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه، وهوى دعوهم الى الله، حتّى فرّ
 إلى الغار، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتكم يا معاوية. (بحار
 الأنوار ٢٢/٤٤). وقد أجاب عليه السلام حجر بن عدى الكندى لما قال له: سوّدث وجوه المؤمنين،
 فقال عليه السلام: ما كل واحد يحب ما تحب ولا رأيك كرايك، وإنما فعلت ما فعلت إبقاء عليكم. (بحار
 الأنوار ٢٨/٤٤). وروى الكليني عن أبى جعفر عليه السلام قال: واللّه، للذى صنعه الحسن بن علىّ
 عليهما السلام كان خيراً لهذه الأمة ممّا طلعت عليه الشمس. (الكافي ٨/٣٣٠) وراجع أيضاً بحار
 الأنوار ٢٥/٤٤).

٣- رض. مل: الوجه.

٤- سورة غافر (٤٠): ٥١.

٥- رض. مل: وهذه لام تأكيد.

٦- باقى النسخ: أنّه.

قُتِلَ مَظْلُومًا فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَحَدٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى غَضِبَ لِنَاقَةِ فَأَهْلَكَ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَقَدْ قُتِلَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَسُبِيَ الْبَاقُونَ مِنْهُمْ ، فَأَمْلَى اللَّهُ لَهُمْ وَلَمْ يَظْهَرِ غَضَبُهُ عَلَيْهِمْ . فَلْيَعْرِفْنَا مَا عِنْدَكَ^٢ فِي ذَلِكَ ، مَا جُورًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

والجواب - وبالله التوفيق :- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالنَّصْرِ ، فَأَنْجَزَ وَعْدَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَ^٣ أَنْجَزَ لَهُمْ وَعْدَهُ فِي الْآخِرَةِ . وَلَيْسَ النَّصْرُ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا هُوَ الدَّوْلَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ^٥ وَالْإِظْفَارُ لَهُمْ بِخُصُومِهِمْ ، وَالتَّهْلِيكُ لَهُمْ إِيَّاهُمْ بِالْغَلْبَةِ بِالسَّيْفِ وَالْقَهْرِ بِهِ . وَإِنَّمَا هُوَ ضَمَانٌ لَهُمْ^٦ بِالْحَجَجِ الْبَيْتَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاهِرَاتِ ، وَقَدْ فَعَلَ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ فَأَيَّدَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ وَالْحُجَجَ مِنْ بَعْدِهِمْ بِالْآيَاتِ الْمَعْجَزَاتِ ، وَأَظْهَرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِالْحَجَجِ الْبَالِغَاتِ ، وَخَذَلَ أَعْدَاءَهُمْ بِالْكَشْفِ عَمَّا^٧ اعْتَمَدُوهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، وَفَضَّحَهُمْ بِذَلِكَ وَكَشَفَ عَنْ [١٥] سَرَائِرَهُمْ وَأَبْدَى مِنْهُمْ الْعُورَاتِ . وَكَذَلِكَ حَالُ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّصْرِ الْعَاجِلِ ، إِذْ هُمْ مُؤَيَّدُونَ فِي الدُّنْيَا^٨ بِالْبَيْتَاتِ ، وَأَعْدَاؤُهُمْ مَخْذُولُونَ بِالِاتِّجَاءِ إِلَى الشُّبُهَاتِ .

فَأَمَّا مَا وَعَدَهُمْ^٩ تَعَالَى مِنَ النَّصْرِ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ بِالْإِتِّقَانِ لَهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَحُلُولِ عِقَابِهِ بِمَنْ خَالَفَهُمْ مِنَ الْخُصَمَاءِ ، وَحَمِيدِ الْعَاقِبَةِ لَهُمْ بِحُلُولِ دَارِ الثَّوَابِ ، وَذَمِيمِ عَاقِبَةِ أَعْدَائِهِمْ بِصَلِّيهِمْ^{١٠} فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ وَالْعِقَابِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»^{١١} فَأَخْبَرَ عَزَّاسْمَهُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ أَعْدَاءَ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ

١- رض، مل: قد قُتِلَ وَقُتِلَ بَنُوهُ .

٢- في الأصل وحش: ما عنده، صَحَّحْنَاهَا عَلَى رَضٍ وَمِل .

٣- رض، مل: + هو .

٤- حش، رض، مل: وعدهم .

٥- حش، رض، مل: الدنياوية .

٦- رض، مل: لنصرتهم .

٧- حش، رض، مل: عن ضعف ما .

٨- رض: في الدين .

٩- رض: + الله .

١٠- في الأصل وحش: يصلِّيهِمْ، صَحَّحْنَاهَا عَلَى رَضٍ وَمِل .

١١- سورة غافر (٤٠): ٥٢ .

معاذيرهم في القيامة ، وأنّ لهم فيها اللعنة ، وهى الطرد عن الخير والثواب والتبديد لهم عن ذلك ، «وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» يعنى العاقبة وهو خلودهم فى العقاب. وهذا يبطل الشبهة فى أنّ الحسين عليه السلام لم يتوجّه إليه الوعد بالنصر ، لأنه قُتِلَ وقُتِلَ معه بنوه وأهل بيته ، وأسير الباقون منهم ، إذ النّصر المعنى ما ذكرناه.

وليس فسى قتل الرّسل فى الدّنيا وظفر أعدائهم فى الأولى وإن كانوا هم الأعلون عليهم بالحجّة ، والغالبون لهم بالبرهان والدّلالة ، ويوم القيامة ينتصر الله لهم منهم بالنقمة الدائمة حسب ما بيّناه. وقد قالت الإمامية: إنّ الله تعالى ينجز الوعد بالنّصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم ، والكرّة التى وعد بها المؤمنين ، وهذا لا يمنع^٢ من تمام الظلم عليهم حيناً مع النصر لهم فى العاقبة حسب ما ذكرناه.

فصل. فأما قوله إنّ الله غضب لناقة فأهلك الأرض ومن عليها ، فالغضب من الله تعالى لم يكن للناقة وإنّما كان لمعصية القوم له فيها ، وجراّتهم على خلافه فيما أمرهم به فى معناها ، وقد عقرت على كلّ حال ، ونصر الله تعالى نبيّه صالحاً عليه السلام بالحجّة عليهم لأنّه كان أخبرهم بتعجيل النقمة منه^٣ على عقر النّاقة ، ولو كان النّبىّ صلى الله عليه وآله أخبر بذلك لعجل لقاتليه^٤ العذاب ، ولما أخر عنهم إلى يوم المآب ، ولو علم الله تعالى أنّ تعجيل العذاب لقاتل الحسين عليه السلام من اللطف فى الدّين [١٦ظ] مثل اللطف الذى كان فى تعجيل العذاب لعاقري^٥ النّاقة لعجله كتعجيل ذلك ، لكنّه تعالى علم اختلاف الحالين فى الخلق ، وتباين الفريقين فى اللطف ، فدبّر الجميع بحسب ما تقتضيه الحكمة من التدبير. وهذه أسئلة شديدة الضعف ، وشبهات ظاهرة الوهن والاضمحلال. والله نسأل^٦ التوفيق

١- حش: بالنعمة

٢- رض، مل: لا يمتنع.

٣- حش، مل: منهم.

٤- رض، مل: لقاتله.

٥- رض، مل: لعاقري.

٦- رض: نسأله.

فى كلّ حال.

المسألة الثانية والعشرون

قال السائل: وما بال أمير المؤمنين عليه السلام ، مع اعتقاده فى عائشة وعلمه بنفاقها وخلافها ، لم يطلقها عن الرسول عليه السلام^١ ولم ردّها^٢ إلى الحجاب ولم يحلّ ناموسها؟ فليس ذلك بأعظم من قتل طلحة والزبير ومَن قتل من المسلمين^٣ فى ذلك المكان.

والجواب^٤ ، أنّ المرأة لم تكن لها برسول الله صلى الله عليه وآله عصمة فى الدين بعد الذى كان منها من^٥ الخلاف على أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد كان مافرط منها فى العداوة مغنياً فى انقطاع عصمتها من رسول الله صلى الله عليه وآله عن إحداث تطليق لها أو ما يقوم مقام ذلك من الفعل ، بل لم يكن لتطليقها معنى يصحّ فعله^٦ من العقلاء ، لأنّ الطلاق إنّما يقصد به قطع العصمة الحاضرة على المرأة النكاح لغير الزوج الذى هى فى جباله بمتقدّم عقد النكاح. فإذا وقع الطلاق حلّت به لغيره من الأزواج على شرط الشرع فى قضاء العدة أو^٧ تركها لاختلاف الأحوال. وقد حظر^٨ الله تعالى نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وآله على من سواه ، ولم يبيح ذلك بفرقة^٩ تقع بهنّ من موت ولا طلاق. فلا معنى لإيقاع الطلاق بهنّ^{١٠} فى

١- رض: صلى الله عليه وآله.

٢- فى الأصل وحش: ولم يردها، صَحَنَاهَا على رض ومل.

٣- رض: ومن قتل المسلمين.

٤- رض، مل: فصل والجواب.

٥- رض، مل: فى.

٦- رض، مل: قصده.

٧- فى الأصل: و، صَحَنَاهَا على باقى النسخ.

٨- حش: وقد قطع حظره، وهو تصحيف من الناسخ.

٩- رض، مل: تفرقة.

١٠- رض، مل: لهنّ.

الحياة ولا بعد الوفاة، إذ هنّ في الحالين^١ جميعًا محبوساتٌ عن نكاح من سواه. ألا ترى أن فرقة الموت أؤكد من فرقة الطلاق، وهى مع ذلك غير مبيحة لأزواجه النكاح، فعلم^٢ أنه لا معنى لإيقاع الطلاق لهنّ لذلك، ولا لقطع العصمة فى الدين، إذ هى ثابتة للمطلقات مع الاتفاق فى الديانات.

فأما قوله: لِمَ رَدَّها إلى الحجاب ولم يحلّ ناموسها بترك ذلك؟ فإنه إنما رَدَّها إلى الحجاب [١٦و] بحراسة^٣ حكم الله تعالى فى تحريمها على الناس وحظر نكاحها بعد النبىِّ صلى الله عليه وآله على كلِّ حال. ولم يكن ذلك إعظامًا لحقّها ولا إجلالًا لقدرها، وإنما كان إعظامًا لحقّ النبىِّ صلى الله عليه وآله وإجلالًا لقدره، وصيانةً له بعد الوفاة ما صانه به فى الحياة، وتمييزًا له عن^٤ كافّة الخلق سواء فيما ذكرناه.

ولو اقتضى الدين سوى ذلك فيها لأمضاه عليه السلام كما أمضى حكم الله تعالى^٥ فى الرجلين اللّذين شرکاها فى الفتنة، وأتباعهما من البغاة، لكن حكم الله^٦ كان فيها ما صنعه عليه السلام. وليس ذلك بإكرام لها ولا إجلال فى الدين، على ما ذكرناه.

المسألة الثالثة والعشرون

وسأل عن قول الله تعالى: «وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا»^٨، وقال:

١- رض، مل: الحاليتين.

٢- رض، مل: فيعلم.

٣- رض، مل: لحراسة.

٤- حش، مل: عليه السلام.

٥- رض، مل: من.

٦- حش، مل: سبحانه. رض: سبحانه وتعالى.

٧- حش، رض، مل: + سبحانه.

٨- سورة التحريم (٦٦): ٣.

ما كان ذلك السرّ؟

والجواب^١ عن ذلك، أنّا لو قلنا إنّ تعاطي الأخبار عن السرّ المذكور تكلف ساقط عنّا، لما توجّهت حجة بذلك علينا، إذ القرآن ناطق بأنّه سرّ النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بعض أزواجه ولم ينطق بأنّه شاع بعد الاستسار به، فلا عهدة علينا في العجز عن ذكره، إذ لم يُجعل لنا سبيل إلى علمه.

مع أنّه^٢ قد جاء في حديث الشيعة^٣ عن جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّ السرّ الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بعض أزواجه إخباره عائشة^٤ أنّ الله أوحى إليه أن يستخلف أمير المؤمنين عليه السلام وأنّه قد ضاق ذرعاً^٥ بذلك، لعلمه بما في قلوب قريش له من البغضاء والحسد والشنآن، وأنّه خائف منهم فتنة عاجلة تضرّ بالدين، وعاهدها أن تكتم ذلك ولا تبديه وتستره وتخفيه.

فتقضت عهد الله سبحانه عليها في ذلك، وأذاعت سرّه إلى حفصة، وأمرتها أن تُعلّم أباهّا ليعلمه صاحبه، فيأخذ القوم لأنفسهم ويحتالوا^٦ في بعض^٧ ما يشته^٨ رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام في حديث طويل، له اسباب مذكورة. ففعلت ذلك حفصة واتفق القوم على عقد^٩ بينهم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله لم يورثوا أحداً من أهل بيته ولا يؤتوهم^{١٠}

١- رض: فصل والجواب.

٢- رض: مل: فصل مع أنّه.

٣- راجع تفسير القمّي ٣٧٥/٢ والبرهان في تفسير القرآن ٣٥٢/٤ ونور الثقلين ٣٦٧/٥ وبحار الأنوار ٢٤٦/٢٢ وتفسير كنز الدقائق ٣٢٤/١٣.

٤- رض: مل: إلى بعض أزواجه عائشة.

٥- الذرع: الطاقة. وضاق بالأمر ذُرْعُهُ وذراعُهُ أي ضُغِفَت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مَخْلَصاً ولم يُطِيقه ولم يَقْو عليه، وأصل الذرع إنما هو بسط اليد فكأنك تريد مدّ يدك إليه، فلم تَبْلُه. (السان العرب).

٦- في الأصل: يحتالون، صحّحناها على باقي النسخ.

٧- رض: نقص. مل: نقص.

٨- حش: ينتسبه. مل: يَبْتَنِيهِ. مر، رض: ٢: نَبَأَهَا بِهِ.

٩- باقي النسخ: عهد.

١٠- باقي النسخ: ولا يؤلّوهم.

مقامه ، واجتهدوا في تأخيرهم والتقدم عليهم.

فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله بذلك ، وأعلمه ما صنع القوم وتعاهدوا عليه ، وأن الأمر يتم لهم محنة من الله تعالى للخلق بهم^١. فوقف^٢ النبي صلى الله عليه وآله عائشة على [١٧ظ] ذلك ، وعرفها ما كان منها من إذاعة السر^٣ وطوى عنها الخبر بما علمه من تمام الأمر لهم ، لئلا تتعجل المسرة به وتلقيه إلى أبيها ، فيتأكد طمع القوم فيما عزموا عليه ، وهو قوله تعالى: «عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ»^٤ ، فالبعض الذي عرفه ما كان منها من إذاعة سره^٥. والبعض الذي أعرض عنه ، ذكر تمام الأمر لهم. وكان في الآية ما يؤذن بشك المرأة في نبوته صلى الله عليه وآله بقولها عند إخباره إياها بضييعها^٦: «مَنْ أَتْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأْنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ»^٧.

فصل. والعامّة تقول إن السر الذي أسرّه النبي صلى الله عليه وآله خلوه^٨
بماربة القبطية في يوم عائشة منه ، وقد كانت حفصة أطلعت على ذلك ، فاستكتمها رسول الله صلى الله عليه وآله إياها^٩ فأذاعته^{١٠}. وعلماء الأمة مجمعون على اختلافهم أن هذه الآية نزلت في عائشة وحفصة خاصة من بين الأزواج. فهذا ، الذي قاله في

١-رض، مل: لهم.

٢-رض، مل، مر، رض: ٢: فوقف.

٣-رض: عليه وآله السلام.

٤-باقى النسخ: سره.

٥-سورة التحريم (٦٦): ٣.

٦-باقى النسخ: فى الإذاعة.

٧-حش: بضييعها. مر، رض: ٢: بعضها.

٨-رض، مل، مر، رض: ٢: خلوته.

٩-رض إياها.

١٠-قال الزمخشري في تفسيره: روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بماربة في يوم عائشة، وعلمت بذلك حفصة فقال لها: اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى، وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى. فاخبرت به عائشة. (الكشاف ١٢٤/٤).

المسألة الرابعة والعشرون

قال السائل: قد أجمعنا على أن الحجج عليهم السلام أحياء غير أموات يعون ويسمعون ، فهل هم في قبورهم؟ فكيف يكون الحي في الثرى باقيًا؟
والجواب^٢ ، أنهم عندنا أحياء في جنة من جنات^٣ الله عز وجل ، يبلغهم السلام عليهم من بعيد ويسمعونه من مشاهدهم ، كما جاء الخبر بذلك مبيّنًا على التفصيل ، وليسوا عندنا في القبور حاليين ، ولا في الثرى ساكنين. وإنما جاءت العبادة بالسعى إلى مشاهدهم والمناجاة لهم عند قبورهم امتحانًا وتعبّدًا ، وجعل الثواب على السعى والاعظام للمواضع التي حلّوها عند فراقهم دار التكليف ، وانتقالهم إلى دار الجزاء. وقد تعبّد الله الخلق بالحجّ إلى البيت الحرام والسعى إليه من جميع البلاد والأمصا ، وجعله بيتًا له مقصودًا ، ومقامًا معظّمًا محجوجًا ، وإن كان الله عز وجل لا يحويه مكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان ، فكذلك يجعل مشاهد الأئمة عليهم السلام مزورة ، وقبورهم مقصودة ، وإن لم تكن [١٧] ذواتهم لها مجاورة ، ولا أجسادهم فيها حالة.

١- روى البخاري بإسناده عن ابن عباس يقول: أردت أن أسأل عمر، فقلت يا أمير المؤمنين: من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فما اتهمت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة. (صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة التحريم - ٢٠٤/٣).

٢- باقى النسخ: فصل والجواب.

٣- حش، مل، رض: ٢، جنان.

٤- حش، مل: مبيّنًا.

المسألة الخامسة والعشرون

وسأل عن قوله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ»^١، وقال: فهل يكون الرزق بغير^٢ جسم؟ وما صورة هذه الحياة؟ فإننا مجمعون على أن الجواهر لا تتلاشى، فما حينئذ الفرق^٣ في الحياة بين الكافر والمؤمن؟

والجواب^٤، أن الرزق عندنا لا يكون إلا للحيوان، والحيوان عندنا ليسوا بأجسام بل هم ذوات أخرجوا^٥ في هذه الدار إلى الأجساد، وتعذر عليهم كثير من الأفعال إلا بها، وصارت آلة لهم في الأفعال والاكسباب، فإن أغنوا عنها بعد الوفاة جاز أن يُرَزَّقوا مع عدمها رزقاً تحصل^٦ لهم به اللذات، وإن افتقروا إليها كان الرزق لهم^٧ بحسبه في الدنيا على السواء.

فصل. فأما قوله: ما صورة هذه الحياة؟ فالحياة لا صورة لها لأنها عرض من الأعراض وهي تقوم بالذات^٨ الفعالة دون الأجساد التي تقوم بها حياة النمو دون الحياة التي هي^٩ شرط العلم والقدرة ونحوهما من الأعراض.

فصل. وقوله: إننا مجمعون على أن الجواهر لا تتلاشى، فليس ذلك كما ظن، ولو كان الأمر فيه كما توهم لم يمتنع أن توجد الحياة لبعض الجواهر وترفع من بعض، كما توجد حياة النمو لبعض الأجسام وترفع من^{١٠} بعض على الاتفاق. ولو

١- سورة آل عمران (٣): ١٦٩.

٢- رض، مر، رض: لغير.

٣- حش: فما الفرق. رض، مل، مر: فما الفرق حينئذ.

٤- رض، مل: فصل والجواب.

٥- رض، مل: أخرجوا.

٦- حش، رض، مل: يحصل.

٧- رض، مل: + حينئذ.

٨- رض، مل: بالذوات.

٩- حش، رض، مل: + في. مر، رض: ٢: هي شرط في العلم.

١٠- رض، مل: عن.

قلنا إنّ الحياة بعد النقلة عن هذه الدار تعمّ أهل الكفر والإيمان لم يُفَسِدْ ذلك علينا أصلاً في الدين. وكانت الحياة لأهل الإيمان شرطاً في وصول الذات إليهم ، والحياة لأهل الكفر شرطاً في وصول الآلام إليهم بالعقاب^١.

المسألة السادسة والعشرون

وسأل فقال: خبّرني^٢ عن قول الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ»^٣. فالوحي قد عرفناه فما الحجاب؟ وهل يقع الحجاب إلا على محدود وكيف صورة الكلام؟

والجواب^٤، أنّ الوحي الذي عناء الله تعالى في هذه الآية ما سمعه الرسول بغير واسطة ، والمسموع من وراء الحجاب هو الكلام [١٨ظ] الذي تؤدّيه^٥ الوسائط إلى الرسل والبشر من غيرهم ، وليس الحجاب المعنى في هذه الآية هو الشيء الذي يستر المتكلم . عمّن كلمه ، ويجول بينه وبين مشاهدته كما ظنّه السائل ، لكنّه ما وصفناه من الرسل والوسائط بين الخلق وبين الله تعالى ، فشبههم بالحجاب الذي يكون بين الإنسان وبين غيره عند الكلام ، فيسمعه من ورائه ولا يرى المتكلم من أجله ، والعرب تستعير للتشبيه والتمثيل ، ولا تضع ذلك موضع الحقائق ، إذ لو وضعت موضع الحقيقة لم تكن مستعيرة للأمثال. وقد قال الله عزّ اسمه: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»^٦.

فصل. وأمّا قوله: كيف صورة الكلام؟ فالكلام أيضاً ممّا لا صورة له لأنّه عرض لا يحتمل التأليف ، والصورة هي ذات التأليف. غير أنّنا نراه أراد بالصورة الحقيقة ،

١- رض: بالعذاب.

٢- رض، مر: أخبرني.

٣- سورة الشورى (٤٢): ٥١.

٤- رض، مل: فصل. والجواب.

٥- حش، مل، مر، رض: يؤدّيه.

٦- سورة العنكبوت (٢٩): ٢٣.

فحقيقة الكلام عندنا الأصوات المقطعة ضرباً من التقطيع يفيد المعانى التى يقصدها^١ دون الأعراض ، وهو محتاج إلى محلّ يقوم به كحاجة غيره من الأعراض. وليس يكون المحلّ هو المتكلّم بل المتكلّم هو فاعل الكلام ، كما أنّه ليس يكون المتفضّل محلّ التفضّل ، بل المتفضّل فاعل التفضّل بلا ارتياب.

المسألة السابعة والعشرون

وسأل عن قول الله^٢ تعالى: «وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»^٣ ، فقال: ما اليمين؟ وما القبضة؟
والجواب^٤ ، أنّ اليمين فى الآية هى القدرة والقبضة هى الملك. قال الشاعر:
إذا ماراية رُفعت لمجد تلقّاها عرابة باليمين
يريد تلقّاها بالقوة ، فأما شاهد الملك بالقبضة ، فيقول القائل: هذه الدار فى قبضتى ، وهذا الغلام فى قبضتى ، يريد به: فى ملكى ، فكان المعنى فى قوله^٥ : «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ»^٦ يريد فى ملكه ، «وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» يريد به أنّها مطويات فى قدرته^٧ . وليس المراد بالقدرة هنا معنى من المعانى كالكون والحركة والقدرة التى يقدر بها [١٨و] الحيوان ، وإنّما يريد به أنّها مطويات بكونه قادراً على طيّها ، كما يقول القائل: لى على كذا وكذا قدرة ، وهو يعنى أنّه قادر عليه ، إذ كان أكثر من يتكلّم بهذا الكلام لا يقصد به إلى إثبات معنى من المعانى قائم بالذات ، بل يقصد به ما ذكرناه.

١- مل: نقصدها. رض: ٢: يقصد بها.

٢- رض، مل، مر، رض: ٢: عن قوله.

٣- سورة الزمر (٣٩): ٦٧.

٤- رض: فالجواب.

٥- رض، مل، مر، رض: ٢: + تعالى.

٦- سورة الزمر (٣٩): ٦٧.

٧- حش، رض، مل: بقدرته.

المسألة الثامنة والعشرون

وسأل عن قوله عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»^١. ثم قال: عرفنا هل يجوز أن يغفر قتل العمد ويعفو عن الخوارج على الأئمة^٢ وإن لم يخالفوا في الأصول.

والجواب^٣ عن ذلك، أن كل معصية لله عز وجل تكون كفرًا، فهي شرك في حكم الشرع والدين، وكل كافر فهو مشرك من أسماء الدين دون أسماء اللغة. وكل مشرك فهو كافر من أسماء الدين واللغة، وإذا كان الأمر على ما ذكرناه وجب القطع على وعيد الكفار بأي ضرب من الكفر وأنواعه، لما ذكرناه من استحقاق السمة لهم بالشرك في حكم الدين. والخوارج على أئمة العدل إذا استحلوا حربهم وعداوتهم وقتل المؤمنين من أنصارهم، فهم كفار بذلك، وحكمهم حكم المشركين، وقد دخلوا بذلك في الوعيد من قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»^٤.

فصل. فأما قتل العمد فهو على ضربين: أحدهما أن يكون القاتل مستحلًا له، والضرب الآخر أن يقع على وجه التحريم. فمن قتل مؤمنًا مستحلًا لدمه فهو كافر بقتله، مستحق للوعيد لقوله^٥: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» وبأمثال هذه الآية من^٦ وعيد الكفار. ومن قتل مؤمنًا محرّمًا لقتله خائفًا من العقوبة له على ذلك، معتقدًا لوجوب الندم عليه منه، كان مستثنى بقوله^٧: «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»، غير

١- سورة النساء (٤): ١١٦.

٢- رض: + عليهم السلام.

٣- حش، رض: فصل والجواب.

٤- حش: وعيده.

٥- مل: بقوله. رض: بقوله تعالى.

٦- «ين» ساقطة من حش.

٧- رض، مل: لقوله.

أنا لا نقطع على عقابه ، ولا نجزم بالعفو^١ عنه ، إلا أن يندم ويتوب فيكون مقطوعاً له بالعفو والغفران.

المسألة التاسعة والعشرون

وسأل فقال: رأينا صاحب الحبشة لما سار إلى البيت منعه الله منه وأهلكه دونه. والحجاج رماه بالعدرة^٢ وهدمه ، والقرمطي قتل الناس حوله وسلبه كسوته وقلع الحجر ، ولم يُمنع من ذلك ولا عُجل عليهما العقوبة عليه.

والجواب^٣ عن هذا السؤال ، قد سلف^٤ في إمهال^٥ الله تعالى [١٩ظ] قتل^٦ الحسين^٧ عليه السلام. وذكر ما^٨ يتعلّق بأفعال^٩ الله عز وجل من مصالح^{١٠} الخلق ، وأن المصالح تختلف^{١١} فلا حاجة^{١٢} إلى تكرار.

فصل. على أن يبين الأمرين فرقاً ، وهو أن صاحب الحبشة قصد البيت للاستخفاف بحرمة ، والإنكار لحرمة ، والدفع لفرض الله تعالى في تعظيمه ، والكفر بما أوجبه من ذلك ، ولم يقصد لغيره ولا أراد السوء^{١٣} لسواه ، فعجل الله تعالى له النعمة لذلك ، وأنظر القاصدين له من أهل الملة ، إذ لم يكن قصدهم له

١- حش: للعفو. رض، مل: على العفو.

٢- حش، مر: بالعدرة.

٣- رض: فصل والجواب.

٤- مل: قد سبق.

٥- رض: إنه قد سلف إمهال...

٦- رض، مل، مر: قتلة.

٧- رض، مل، مر، رض ٢: + بن علي.

٨- مر، رض ٢: وذكرنا.

٩- رض، مل، مر، رض ٢: تعلّق أفعال...

١٠- رض، مر، رض ٢: بمصالح.

١١- مر، رض ٢: مختلف.

١٢- رض، مل: + هنا. مر، رض ٢: + بنا.

١٣- رض، مل: + به.

من أجل نفسه ، ولا للكفر بفرضه والعناد لله فى تعظيمه ، وإنما قصده لغيره . ممن لم يكن له عند الله تعالى من الحرمة كحرمة ، بل لم يكن لأكثرهم عند الله سبحانه حرمة فى الدين ، لضلالهم عن الهدى ، وسلوكهم فى الأفعال والأقوال طريق الردى^١ . وهذا يوضح عن فرق ما بين الجرمين^٢ ويفصل بين أحكام^٣ المعصيتين ، والله ولى التوفيق .

المسألة الثلاثون

وسأل هل يجوز أن يحسن الله قبيحاً فى حال ، ويقبحه فى أخرى ، مثل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير والقتل والزنا؟ وهل كانت هذه الأشياء محللة ثم حُرِّمت ، أم لم تنزل محرمة غير محللة؟

والجواب^٤ عن ذلك ، أن الله تبارك وتعالى لا يحسن قبيحاً ولا يقبح حسناً ، إذ تقييح الحسن وتحسين القبيح باطل ، لا يقع إلا من جاهل بحقيقتهما ، أو متعمد للكذب فى وصفهما بغير صفتها . والله ، تعالى^٥ عن ذلك علواً كبيراً .

فصل . وقد تدخل على العامة شبهة فى هذا الباب يعترضهم شك فى النسخ ، وحظر ما كان مباحاً وإباحة ما كان محظوراً ، فيتوهمون أن الله تعالى حسن قبيحاً وقبح حسناً . وليس الأمر كما ظنوه . وذلك أن الحسن والقبح^٦ إنما هما وصفان للأفعال ، فالأفعال التى مضت وتعلق بها الحظر كانت قبيحة . وما مضى مما تعلقت به الإباحة والأمربها كان حسناً . فإذا طرأ الحظر على أفعال فى المستقبل كان ما يتعلق به ذلك فى المستقبل قبيحاً وما مضى منه حسناً . والأفعال المستقبلية غير

١- «الردى» ساقطة فى الأصل، أثبتناها عن باقى النسخ.

٢- حش: الحرمتين . مر، رض: ٢: الأمرين .

٣- حش: + المقصدين .

٤- رض: فصل والجواب .

٥- رض، مل: يتعالى .

٦- رض، مل: القبيح .

الماضي ، وكذلك إذا تجددت [١٩و] الإباحة لأفعال في المستقبل كانت الأفعال المستقبلية حسنة ، وما تعلق به النهي من ماضيها قبيحاً ، والماضي غير المستقبل ، على ما بيناه.

وإنما تقبح^١ الأفعال التي لا دليل في العقل على قبحها ولا^٢ حسنها ، للعلم بالفساد بإباحتها ويقبح حظرها للعلم بالاستفساد بتحريمها ، وأحوال المكلف^٣ تتغير ، فلتغيرها يحسن إباحتهم حيناً ما كان نوعه محظوراً عليهم حيناً ، ويحسن منعهم حيناً ما كان نوعه لهم مطلقاً^٤ حيناً وهذا باب لا يخفى معناه على متأمل له ، ومفكر من أهل العقل فيه.

فصل. فأما تحريم الزنا والربا^٥ فلسنا نعلم خلافاً في أنه كان كذلك في كل شريعة ولم يأت بإباحته نبي ولا استفساد به ظاهر لذوى الألباب ، وتحريم الخمر عندنا كان في كل شريعة ، ولم يكن مباحاً في حال من الأحوال.

وقد خالف في ذلك الجمهور ، ومعناه آثار صادقة عمن يجب التسليم^٦ له من حجج الله تعالى وأصفياه في الدين. ولو قلت إن الاعتبار يدل عليه أيضاً لما أبعد^٧ بذلك عن الحق من قبل أن الفساد بشرب^٨ كثير من الخمر معلوم وأن شرب القليل منه يدعو إلى شرب كثيره ، وقال الله سبحانه:

«إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

١- رض، مل: يقبح.

٢- رض: + على.

٣- رض، مل: المكلفين.

٤- رض: مطلوباً.

٥- رض، مل: الربا والزنا.

٦- رض: التصديق.

٧- حش، رض، مل: لم أبعد.

٨- رض، مل: لشرب.

وَيُضَدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»^١، فدلّ على أنّ عاقبة الخمر ترك الصلاة، والإعراض عن ذكر الله ووقوع البغضاء والعداوة بين الناس، وما كان هذا عاقبته فهو قبيح. ومعلوم أنّ شرب قليل الخمر يدعو إلى هذا الكثير الذي نصّ الله على الفساد به، فدلّ على أنّ شرب القليل والكثير من المسكر محرّم في كلّ شرع بهذا الضرب من الاعتبار، ووافق ذلك ما جاءت به عن الأئمة الصادقين عليهم السلام الآثار^٢.

وأما إباحة لحم الفيل والقرود والدّبّ وأشباهاها ممّا لم يأت بإباحته شريعة، فقد عرفنا تحريمه في كلّ شرع. ولسنا نعلم للعقلاء حالاً قبل الشرع [٢٠ظ] فتكلّم عليها فإن كنّا لو قدرناها لوجب الوقف عندنا في الحظر والإباحة، لما لا تدلّ^٣ العقول على حسنه وقبحه من الأشياء.

وأما لحم الخنزير فالتّصاري تزعم أنّ المسيح عليه السلام أباحهم أكله. ولسنا نقبّ بدعواهم وإن كنّا نجوّز^٤ صحتها في العقول، فإن بطلت فقد كفينا^٥ الكلام على وجه حظره بعد إباحته، وإن صحّت فالوجه في حظر المستقبل منه بعد إباحته في الماضي^٦ ما قدّمناه^٧، وفي ذلك كفاية، والمثّة لله.

المسألة الإحدى والثلاثون

وسأل عن قوله تعالى: «مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ»^٨ قال:

١- سورة المائدة (٥): ٩٠، ٩١.

٢- مل: فهذا الضرب من الاعتبار وافق ما جاءت به من الأئمة الصادقين عليهم السلام بالآثار.

٣- حش، رض، مل: لا يدلّ.

٤- رض، مل: وإن كان يجوز.

٥- رض: اكفينا.

٦- مل: إباحته الماضية.

٧- في الأصل وحش: بما قدّمناه، صحّحناها على مل ورض.

٨- سورة ص (٣٨): ٦٩.

والملا الأعلى هم الملائكة فيم^١ اختصموا؟

والجواب - وبالله التوفيق -: أن الله أخبر عن نبيه صلى الله عليه وآله أنه لم يكن له علم بذلك^٢ وأنه طوى عنه علمه ، فالسؤال لنا عن ذلك إعنات ، وتكلفنا الجواب عنه ضلالة^٣ ، وما رأيت أعجب ممن يسأل رعايا الأنبياء عما طوى عن أنبيائهم ويكلفهم الإخبار عما لم يخبروا به ، وليس كل أمر حدث فقد أوحى الله به إلى الأنبياء عليهم السلام ولا كل معلوم له قد أعلمهم إياه ، وليس يمتنع أن يطوى عنهم علم كثير من معلوماته^٤ ، ويعلم أن ذلك أصلح لهم في التدبير ، وغير منكر أيضًا أن يُطلعهم على شيء ويكلفهم ستره عن غيرهم ، فسؤال هذا السائل عما أخبر نبي الهدى صلى الله عليه وآله^٥ بأنه لا علم له به ضلال عن الحق ، وعدول عن طريق الهدى ، وتكليف بممتنع^٦ لا يحسن من حكيم تكليفه.

فصل . مع أنه قد روى في الحديث أن الله تعالى أعلم نبيه من بعد فيما اختصموا به ، وهوانهم اختصموا في الدرجات بالأعمال والتفاوت^٧ فيها . فكانت^٨ طائفة منهم تظن في ذلك شيئًا ، وتخالفها الأخرى فيه ، فبين الله لهم الحق في ذلك فأجمعوا عليه ، وهذا خبر وإن كان مرويًا فليس مما يقطع به ، والله أعلم.

المسألة الثانية والثلاثون

وسأل عن قوله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

١- حش: فيما. رض: مل: ففيما.

٢- رض: بذلك علم.

٣- رض: مل: ضلال.

٤- حش، رض: مل: + تعالى.

٥- حش، رض: مل: عليه السلام.

٦- حش: مل: لممتنع. رض: ممتنع.

٧- رض: مل: الكفارات.

٨- حش: وكانت.

فَأَبَيْنِ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا^١ فقال^٢ [٢٠و]: فهل يجوز العرض على الجمد والتكليف له؟ أو ليس الامتناع من ذلك كفراً؟ وهل كان العرض على سبيل التخيير أم على الإيجاب؟ فإن كان على الإيجاب فقد وقع العصيان ، وإن كان على التخيير فقد جاز حظر^٣ الأمانة وترك أدائها.

والجواب^٤ ، أنه لم يكن عرض في الحقيقة على السموات والأرض والجبال بقول صريح ، أو دليل ينوب مناب القول ، وإنما الكلام في هذه الآية [مجازاً]^٥ أريد به الإيضاح عن عظم الأمانة وثقل التكليف بها وشدته على الإنسان ، وأن السموات والأرض والجبال لو كانت ممن يعقل لأبت^٦ حمل الأمانة لو عرضت عليها^٧ ، وقد تكلفها الإنسان ولم يؤد مع ذلك حقها.

فصل. ونظير ذلك قوله تعالى: «تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا»^٨ ومعلوم أن السموات والأرض والجبال جمد لا تعرف الكفر من الإيمان ، ولكن المعنى في ذلك إعظام ما فعله المبطلون ، وتفوّه به الضالّون ، وأقدم عليه المجرمون من الكفر بالله تعالى ، وأنه من عظمه جار مجرى ما يشغل^٩ باعتماده على السموات والأرض والجبال من الأحمال وأن الوزر به^{١٠} كذلك ، فكان الكلام في معناه بما جاء به التنزيل مجازاً واستعارة كما ذكرناه.

فصل. ومن ذلك قوله تعالى: «وَإِنَّ مِنَ الْجِبَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا

١- سورة الأحزاب (٣٣): ٧٢.

٢- حش، رض، مل: وقال.

٣- حش: خفر. رض، مل: حقر.

٤- رض: فصل والجواب.

٥- ساقطة في الأصل، أثبتناها عن باقي النسخ.

٦- حش، رض، مل: لا يبي.

٧- حش، رض، مل: عليه.

٨- سورة مريم (١٩): ٩٠.

٩- رض: تنتقل.

١٠- حش، رض: الوزرية.

لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»^١، ومعلوم أنَّ الحجارة جماد ولا تعلم فتخشى، أو تحذر أو ترجو أو تأمل، وإنما المراد بذلك تعظيم الوزر في معصية الله وما يجب أن يكون العبد عليه من خشية الله. وقد بيّن الله تعالى ذلك بقوله في نظير ما ذكرناه: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ وَقُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا»^٢ فبيّن بهذا المثل عن جلالة القرآن وعظيم قدره وعلو شأنه، وأنه لو كان كلام يكون به ما عدده^٣ ووصفه [٢١ظ] لكان بالقرآن ذلك وكان القرآن به أولى لعظم قدره على سائر الكلام، وجلالة محله حسب ما قدّمناه.

فصل. وقد قيل إنَّ المعنى في قوله: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ» عرضها على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال، والعرب تخبر عن أهل الموضع بذكر الموضع وتسميهم باسمه. قال الله عز وجل: «وَسُئِلَ الْقُرَيْةُ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيزِ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا»^٤ يريد أهل القرية وأهل العير، فكان العرض على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال قبل خلق آدم^٥، وخيروا بين التكليف بما كلف به آدم وبنيه، فأشفقوا من التفريط فيه واستعفوا منه فأعفوا^٦، وتكلفه الناس ففرطوا فيه. وليس الأمانة على ما ظنّه السائل أنها الوديعة^٧ وما في بابها، لكنّه^٨ التكليف الذي وصفناه. وهذا يسقط الشبهة التي

١- سورة البقرة (٢): ٧٤.

٢- سورة الرعد (١٣): ٣١.

٣- حش، رض، مل، مر، رض: ٢. عدّه.

٤- سورة يوسف (١٢): ٨٢.

٥- رض: + عليه السلام.

٦- حش، رض، مل: + منه.

٧- رض، مل: إنما هي الوديعة.

٨- رض، مل: لكنّها.

اعترضت له في جواز الأمانة على ما قدره من ذلك وقطعناه^٢.

فصل. ولطائفة تنسب إلى الشيعة - وهم بُرَاء منهم - تأويل هذه الآية بعيد من الصواب. ولقوم من أصحاب الحديث الذاهبين إلى الإمامة جواب تعلقوا به من جهة بعض الأخبار، وهو أن الأمانة هي الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام وأنها عرضت قبل خلق آدم عليه السلام على السموات والأرض والجبال، ليأتوا على شروطها فأبين من حملها على ذلك خوفاً من تضييع الحق فيها وكلفها الناس فتكلفوها ولم يؤد أكثرهم حقها، وللعمامة تأويل آخر إن عملنا على إثباته طال به الكلام، ولم يكن في إثباته طائل. وفيما ذكرناه كفاية، إن شاء الله.

المسألة الثالثة والثلاثون

وسأل عن قوله تعالى: «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ»^٣ قال: وليس يخشى الله إلا مكلف يعقل، فما معنى هذا الكلام؟

والجواب عن ذلك، كالمتقدم في المسألة الأولى وهو أن الله تعالى يخبر عن عظم قدر القرآن وجلالة محلّه وموقع وعده ووعيده ومواعظه من القلوب، فقدّر تقديرًا على المثل. وكان الكلام في ذلك مجازًا، ومعناه أن القرآن لو أنزل على جبل في شدّته وعظمه، وكان الجبل حيّا مع ذلك [٢١و] عاقلاً ففهمه وعرف معانيه، لأنصدع مع شدّته، وانخشع^٥ مع صلابته من خشية الله، ألا ترى إلى قوله في صلة الكلام: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» فيبين أن ذلك مثل نبيه على

١- مر، رض ٢: + خفر.

٢- رض، مل: بطناء. (بطن الأمز: عرف باطنه).

٣- سورة الحشر (٥٩): ٢١.

٤- رض، مل: + له.

٥- رض، مل، مر، رض ٢: خشع.

عظم محلّ القرآن وما يجب أن يكون الإنسان عليه عند سماعه وتدبره ، من الحذر من الله تعالى والخشوع له والطاعة والخضوع.

المسألة الرابعة والثلاثون

وسأل فقال: قد ثبت أن الله عدل لا يجور ، وأنه لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وهو العالم بأن العرب لا تأتي بمثل القرآن ولا تقدر عليه ، فلم كلفهم أن يأتوا بعشر سُورٍ مثله أو بسورة من مثله؟ وكذلك إن كانوا عليه قادرين لكنهم كانوا منه ممنوعين ، فالسؤال واحد.

والجواب^١ ، أن قوله تعالى: «فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ»^٢ [ليس بأمر لهم والزام وندبة وترغيب ، لكنه تحدّ وتعجيزٌ ، ألا ترى إلى قوله عز وجل: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ»]^٣ يريد به تعالى أنه لو كان القرآن من كلام بشر قد افتراه لكان مقدوراً لغيره من البشر ، فامتحنوا أنفسكم فإذا عجزتم عن افتراء مثله ، فقد علمتم بطلان دعواكم على محمد صلى الله عليه وآله الافتراء للقرآن ، ومن لم يفهم فرق ما بين التحدى والتقريع والتعجيز ، والأمر والتكليف والإلزام كان في عداد البهائم وذوى الآفات الغامرة للعقول من الناس ، وكذلك قوله: «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» ليس بأمر وإلزام لكنه تحدّ وتعجيز. ألا ترى قوله: «إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا»^٤ فحذاهم^٥ وبين عجزهم وأنهم يعجزون عن ذلك ولم يتهيأ لهم أبداً.

١- رض: فصلٌ والجواب..

٢- سورة هود (١١): ١٣.

٣- أثبتناها عن رض ومل.

٤- رض، مل: العقول.

٥- سورة البقرة (٢): ٢٣، ٢٤.

٦- حش، رض، مل: فتحذاهم.

ومثل^١ ما ذكرناه في هذا الباب ، أن يقول امرؤ^٢ لكاتب محسن: إئننى قادر على كل ما تقدر عليه ، فيقول الكاتب: لست قادراً على ذلك ولا تيسر ممّا يتأتى منى ، والدليل على ذلك إئننى أكتب كتاباً حسناً ، فإن كنت تحسن منه ما أحسن ، فاكُتِبْ مثله أو بعضه. وكقول المُفَحِّم^٣ للشاعر: ليس يمكنك من النظم إلا ما يمكنى مثله ، فينظم قصيدة ويتحدّاه بنظم مثلها. فإذا عجز عن ذلك أعلمه بعجزه بطلان دعواه مماثلته^٤ فى الشعر. ولم تزل العرب يتحدّى بعضها بعضاً [بالشعر ويعجز بعضها بعضاً]^٥ وكذلك كل ذى صناعة يتحدّى بعضهم بعضاً على وجه التفرّيع والتعجيز ، ولا يكون [٢٢ظ] تحدّيهم أمراً ولا إلزاماً.

ومن خفى عنه القول فى هذا الباب ، وعرضت له من الشبهة فيه ما عرض لصاحب السؤال كان بعيداً من العلم ، ناقصاً عن رتبة الفهم ، والله المستعان.

المسألة الخامسة والثلاثون

قال السائل قد ورد عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله أنه قال: «اتقوا

١- رض، مل: مثال.

٢- حش: أمّى.

٣- فى الأصل وحش: المنجم، صَحَّحَها على رض ومل. والمُفَحِّم: مَنْ لا يقدر أن يقول شعراً.

٤- رض، مل: ممّا يليه.

٥- أثبتناها عن حش ورض ومل.

٦- رض: ٢: عليه وآله الصلاة والسلام والتحية.

فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله^١ وقد رأينا آدم عليه السلام لم يعرف إبليس لما تصوّر له^٢ وأغواه^٣، ولا مريم عليها السلام عرفت جبرائيل^٤، ولا عرف داود الملكين، ولا لوط وإبراهيم^٥ عرفا الملائكة لما جاؤوا بصورة ضيوف، ولا صاحب شريعتنا صلى الله عليه وآله^٦ عرف المنافقين حتى عرفه الله إياهم.

والجواب، أن هذا حديث لا نعرف له سنداً متصلاً ولا وجدناه في الأصول المعتمدة، وما كان هذا حكمه لم يصح التعلّق به والاحتجاج بمضمونه.

فصل. مع أنّ له وجهاً في التّظر - لو ثبت لكان محمولاً عليه - وهو الخبر عن صحّة ظنّ المؤمن في أكثر الأشياء، وليس يخبر^٧ بالغائبات^٨ من طريق المشاهدة، وقد قيل إنّ الإنسان لا ينتفع بعلمه ما لم ينتفع بظنه، أراد بذلك أنّه متى^٩ لم يكن

١- روى الشيخ المفيد في كتابه (الاختصاص ١٤٣): عن الصادق عليه السلام، أنّه قال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتقوا فراصة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله. ورواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار (ص ٣٥٠)، ونقله العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٨٣/٣٨ و ٦٧/٦١، ونقل أيضاً عن بصائر الدرجات (ص ٧٩) عن سليمان الجعفري، قال: كنتُ عند أبي الحسن عليه السلام قال: يا سليمان! اتق فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله. فسكتُ حتى أصبت خلوة، فقلتُ: جعلتُ فداك سمعتك تقول: اتق فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟ قال: نعم يا سليمان، إنّ الله خلق المؤمن من نوره، وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، والمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور وأمه الرحمة، وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه. ثم قال العلامة المجلسي:

بيان: الفراسة الكاملة لكُتّل المؤمنين، وهم الأئمة عليهم السلام، فإنهم يعرفون كلّاً من المؤمنين والمنافقين بسيماهم، كما مرّ في كتاب الإمامة، وسائر المؤمنين يتفرسون ذلك بقدر إيمانهم. (بحار الأنوار ٦٧/٧٣).

٢- رض: لما سؤله.

٣- رض: أغراه. مل: غواه.

٤- مل، مر: جبرئيل. رض، رض: ٢: جبرئيل عليه السلام.

٥- رض: عليهما السلام.

٦- حش، مر، رض: ٢: عليه السلام.

٧- رض، مل، مر، رض: ٢: + عن علمه.

٨- رض، مل: بالغائب.

٩- حش: حتّى.

ذكياً^١ فطناً متيقظاً صافي^٢ الطبيعة لم يكد يعلم كثيراً من الأشياء، وإنما يكثر علم الإنسان. بخلوص طبيعته من الشوائب، وشدة ذهنه واجتهاده وطلبه، ومتى كان كذلك صدقت ظنونه، فكان المعنى في القول بصحة فراسة المؤمن هو ما ذكرناه من صدق ظنه في الأكثر، وليس إصابة الإنسان في الأكثر تمنع من سهوه في الأقل. وهذا يسقط شبهة السائل لأنها مبنية على توهمه أن المؤمن يعلم بالفراصة الغيب، ولا يخفى معها عليه علم باطن^٣، وذلك فاسد لم يتضمّن الخبر بصريحه، ولا أفاده بدليل منه [عليه]^٤.

فصل. مع أن آدم عليه السلام قد تفرّس في إبليس^٥ المكر والخديعة، فحذّره حتى أقسم له بالله عز وجل فاشتبه عليه أمره بالقسم، قال الله تعالى: «وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِيقٌ النَّاصِحِينَ. فَذَلَّلَاهُمَا بِغُرُورٍ»^٦ وليس يمتنع أن يرجع الإنسان عما قوى في ظنه بشبهة تعرض^٧ له في ذلك، وهو على صورته التي خلق عليها فيصدق ظنه فيه بتفرسه، وإنما شاهده على غيرها فالتبس الأمر عليه لذلك، مع أننا لا نعلم أن آدم عليه السلام رأى إبليس بعينه في حال غوايته، ولا ينكر أن يكون وصلت إليه وسوسته^٨ مع احتجاجه عنه، كما تصل وسوسته^٩ إلى بني آدم من حيث لا يرونه، فلا يكون حينئذ لآدم^٩ فراسة لإبليس لم تصدّق على ما ظنه السائل وتخيله في معناه. والخبر الذي جاء أنه^{١٠} تصوّر لآدم^{١١} في صورة شاهده عليها، خبر شاذّ يتعلّق به أهل الحشو، وما كان ذلك سبيله فهو مطروح عند العلماء.

١ - حش، رض: زكياً.

٢ - في الأصل وحش: في، صحّحناها على باقي النسخ.

٣ - حش: عليه ناظر. مر، رض: عليه ما ظن.

٤ - أثبتناها عن باقي النسخ.

٥ - رض: + لعنه الله.

٦ - سورة الأعراف (٧): ٢١ و ٢٢.

٧ - رض، مل: تعترض.

٨ - حش: وسوسة.

٩ - حش، رض، مل: + عليه السلام.

١٠ - رض: فيه تصوّره.

١١ - رض: + عليه السلام.

فصل. وأما الملكان اللذان هبطا على داود عليه السلام فإنه قد ظنّ بفراسته لهما ما عرف اليقين^١ منه بعد الحال ، ألا ترى إلى قوله تعالى: «وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ»^٢ [فبين تعالى عن صدق ظنه فيهما ، وبصحة فراسته لهما ، وانهما غطيا عليه الأمر بقوله «خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ»]^٣ ، والقول فى هذا الباب قد تضمنه ما تقدّم من القول بأنّ الإنسان قد ينصرف عن غالب ظنه بشبهة تعترض^٤ له ، وأنّ الفراسة لا توجب اليقين^٥ ، وأنّ النظر بنور الله^٦ يدلّ على قوّة الظنّ ، إذ لا طريق إلى العلم بالغائبات من جهة المشاهدات.

فصل. وكذلك القول فى لوط وإبراهيم عليهما السلام واشتباه الأمر عليهما فى حال الملائكة ، وانهما ظنّا بالفراسة لهم ما تحقّقاه من بعد ، ألا ترى^٧ قوله تعالى: «فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ»^٨ وقالوا للوط^٩: «إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ»^{١٠}

فصل. وبعد ، فإنّ الملكين اللذين تسوّرا^{١١} على داود^{١٢} والملائكة اللذين نزلوا بهلاك^{١٣} قوم لوط لم يكونوا بصورهم^{١٤} التى هى لهم ، فتكون فراسة الأنبياء

١- رض، مل: النفس.

٢- سورة ص (٣٨): ٢١ و ٢٢.

٣- أثبتناها عن رض و مل و رض ٢.

٤- باقى النسخ: تعرض.

٥- رض: لا يوجب التعيين.

٦- حش: + تعالى. رض، مل: + تعالى فى الخير.

٧- رض، مل، مر، رض ٢: + إلى.

٨- سورة هود (١١): ٧٠.

٩- رض: + عليه السلام.

١٠- سورة هود (١١): ٨١.

١١- حش، رض، مل: تسوّروا.

١٢- رض: + عليه السلام.

١٣- رض: على هلاك. مل، مر، رض ٢: لهلاك.

١٤- رض، مل، مر: فى صورهم. رض ٢: فى صورتهم.

عليهم السلام لهم توجب لهم اليقين في حالهم ، لكنهم جاؤوا في غيرها ، فلذلك التبس أمرهم^١ على ما شرحناه.

فصل. وأما فراسة النبي صلى الله عليه وآله للمنافقين فقد صدقت ولم يخفَ على^٢ النبي صلى الله عليه وآله أمرهم مع التفرس لهم. وقوله تعالى: «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ فَلَغَرَفْتُهُمْ بِسَيِّمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ»^٣ [يدلّ على ما ذكرناه] وذلك أن الله تبارك وتعالى ردّه في علم أحوالهم إلى التفرس لهم ، وأحاله في معرفتهم على مشاهدته^٤ مخارج كلامهم وسماع مقالهم ، وقطع على وصوله إلى معرفة بواطنهم بتأمله لحن قولهم ، وجعل ذلك نائبا مناب تعيينهم وتسميتهم ، وهذا خلاف ما توهمه^٥ السائل وتظناه^٦.

فصل. فإن سأل سائل عن قوله تعالى: «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ»^٨ فقال: كيف يكون صادق التوسم وهو لا يعلم أهل النفاق مع تفرسه لهم؟

فالجواب ، عن هذا قد تقدّم ، وهو أن الله تعالى نفى علمه بهم ولم ينفِ ظنه^٩ بنفاقهم ، والخبر إنما يدلّ على قوّة ظنه بهم عند تفرسه لهم ، ولا يدلّ على علم^{١٠} ويقين لهم على ما قدّمناه.

فصل. مع أن القوم الذين عناهم الله تعالى بهذه الآية من أهل النفاق ، لم يقم

١- رض: ٢: الأمر.

٢- رض: ٢: عن.

٣- سورة محمد (٤٧): ٣٠.

٤- أثبتناها عن مرو ورض: ٢.

٥- مر: رض: ٢: مشاهدتهم.

٦- مر: ظنه.

٧- رض: وأبطلناه. وتظناه من التظنى، والتظنى: إعمال الظن. وأصله التظنن، أبدل من إحدى

النونات ياء. (لسان العرب).

٨- سورة التوبة (٩): ١٠١.

٩- رض: تظنه. مل: ولم يتظنه.

١٠- حش: علمه.

دليل على تفرّس النبي صَلَّى الله عليه وآله بهم^١ في حال نفاقهم ، ولا يمتنع أن يكون القوم كانوا غُيَّبًا عنه ، أو كانوا^٢ يحضرونه فلا يتميَّز بينهم^٣ لشغله بغيرهم ، فأنبأه الله عزَّ وجلَّ عن حالهم بالتمرد على النفاق ، وهو العتوفيه والتمرد عليه . ولا يمتنع أيضًا أن يكون قد عرفهم بالنفاق ، غير أنه لم يعرفهم بالتمرد عليه . وليس في الخبر ما يدل على أن فِرَاسة المؤمن تدلُّ على كلِّ حال يكون عليها مَنْ تفرَّسَه ، وإنَّما يقتضى^٥ أنَّها^٤ تميَّز بينه وبين غيره في الجملة دون التفصيل ، وهذا الكلام يأتي^٦ على معنى الخبر لو صحَّ وثبت . فكيف والقول فيه ما قدَّمناه .

المسألة السادسة والثلاثون

وسأل فقال: قد كان أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام فى زمان واحد ، وجميعهم أئمة منصوص عليهم ، فهل كانت طاعتهم جميعاً واجبة [فى وقت واحد] وهل كانت طاعة بعضهم واجبة^٨ على بعض؟ وكيف الحال فى ذلك؟
والجواب^١ عن ذلك ، أنَّ الطاعة فى وقت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم كانت له من جهة الإمامة دون غيره ، والأمر له خاصه دون من سواه ، فلما قبض صَلَّى الله عليه وآله صارت الإمامة من بعده لأمر المؤمنين عليه السلام ومن عداه من الناس كافة رعيَّة له ، فلما قبض عليه السلام صارت الإمامة للحسن بن على عليهما السلام ، والحسين عليه السلام إذ ذاك رعيَّة لأخيه الحسن عليه السلام ، [٢٣ و]

-
- ١- رض، مل: لهم.
 - ٢- رض، مل: وكانوا.
 - ٣- حش، مل: فلا يتفرَّسهم. رض: فلا يميَّز بينهم.
 - ٤- رض، مل: تدلُّه.
 - ٥- حش: تقتضى.
 - ٦- رض، مل: بأنَّها.
 - ٧- رض، مل: كاف.
 - ٨- أثبتناها عن رضى و مل و رض^٢.
 - ٩- حش، رض: فصل والجواب.

فلَمَّا قبض الحسن عليه السلام صار الحسين [٢٣و] عليه السلام إمامًا مفترض الطاعة على الأناس. وهكذا حكم كل إمام وخليفة في زمانه، ولم تشترك الجماعة في الإمامة معًا، وكانوا معها^١ على الترتيب الذي ذكرناه.

فصل. وقد ذهب قوم من أصحابنا الإمامية إلى أن الإمامة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام^٢ في وقت واحد، إلا أن النطق والأمر والتدبير كان للنبي صلى الله عليه وآله مدة حياته دونهم، وكذلك كان الأمر والتدبير لأمر المؤمنين عليه السلام دون الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام^٣ وجعلوا الإمام في وقت صاحبه صامتًا، وجعلوا الأول ناطقًا، وهذا خلاف في عبارة، والأصل ما قدّمناه.

المسألة السابعة والثلاثون

وسأل عن قول الصادق عليه السلام: «ما بدا لله في شيء ما» بدا له في اسماعيل^٥، وقال: هل يبدأ الله شيئًا ثم ينقضه قبل تمامه؟ والجواب^٦ أن البدء من الله تعالى هو الظهور، فإذا ظهر^٧ من أفعاله مالم

١- حش، رض، مل: فيها.

٢- حش، رض، مل: عليهم السلام.

٣- حش: عليهم السلام. رض، مل: عليهما السلام.

٤- رض: كما.

٥- قال الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد (ص ٥١): وقول أبي عبد الله عليه السلام: «ما بدا لله شيء كما بدا له في اسماعيل» فإنما أراد به ما ظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه، وقد كان مخوفًا عليه من ذلك مظنونًا به، فلطف له في دفعه عنه. وقد جاء الخبر بذلك عن الصادق عليه السلام فروى عنه عليه السلام أنه قال: كان القتل قد كتب على اسماعيل مرتين، فسألت الله في دفعه عنه فدفعه، و قد يكون الشيء مكتوبًا بشرط فيتغير الحال فيه. ومن أراد تفصيل القول في مسألة البدء، فليراجع إلى ما أورده العلامة المجلسي في بحار الأنوار (١٢٢/٤) تحت عنوان: بسط كلام لرفع شكوك وأوهام.

٦- رض: فصلٌ والجواب.

٧- رض: اظهر.

يكن فى الاحتساب والظنون قيل فى ذلك: بدا لله كذا وكذا. وقد قال الله عز وجل: «وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آلِهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ»^١، أى ظهر لهم من فعله بهم ما لم يكن فى احتسابهم. وليس البدء من الله تعالى تعقب رأى، ولا استدراك فائت، ولا انتقال^٢ من تدبير إلى تدبير، لحدوث علم بما لم يكن فى المعلوم^٣ والمعنى فى قوله عليه السلام: «ما بدا لله فى شىء كما بدا له فى اسماعيل» بمعنى^٤: ما ظهر له^٥ فعل فى أحد من أهل البيت عليهم السلام، ما ظهر له فى اسماعيل، وذلك أنه كان الخوف عليه من القتل مستتداً^٦ والظن به غالباً، فصرف الله عنه ذلك بدعاء الصادق عليه السلام ومناجاته لله^٧. وبهذا جاء الخبر^٨ عن الرضا على بن موسى عليهما السلام، وليس الأمر فى هذا الخبر كما^٩ ظنه قوم من الشيعة فى^{١٠} أن النص كان^{١١} قد استقر فى اسماعيل، فقبضه الله إليه، وجعل الإمامة من^{١٢} بعده فى موسى^{١٣}، فقد جاءت الرواية بضد ذلك عن أئمة آل الرسول صلى الله عليه وآله^{١٤} فروى أنهم قالوا: «مهما بدا لله فى شىء فإنه لا يبدوله فى نقل نبي عن نبوته، ولا إمام عن أمانته، ولا مؤمن قد أخذ عهده بالإيمان عن إيمانه». فكان هذا الخبر مصححاً [٢٤ظ] من التأويل فى البدا ما قدمناه.

١- سورة الزمر (٣٩): ٤٧.

٢- حش: الانتقال.

٣- رض: + فصل.

٤- حش، رض: يعنى.

٥- حش، رض: + تعالى.

٦- حش: مستتداً.

٧- حش: + فيه.

٨- حش، رض: الأثر.

٩- حش، رض: على ما.

١٠- حش: من.

١١- ليست فى حش و رض.

١٢- ليست فى حش.

١٣- حش، رض: + عليه السلام.

١٤- حش: عليهم السلام.

المسألة الثامنة والثلاثون

وسأل عن القلم فقال: نحن مجمعون عليه وهو مذكور في القرآن حيث يقول الله تعالى: «وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ»^١، وقد ثبت أنه يجري في اللوح، فخيرنا هل هو جارٍ بسواه فمن الذي يكتب به؟

والجواب^٢، أن القلم المعروف هو ما يكتب به كاتب^٣، وليس في القرآن دليل على ما رواه أصحاب الحديث أن الله تعالى خلق قلمًا ولو حًا يسطر بالقلم في اللوح، والذي تضمنه القرآن في^٤ القلم يجري مجرى القسم، كما جاء القسم بأمثاله من المخلوقات المعروفة^٥، فقال سبحانه: «وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ»^٦، «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ»^٧، «وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ»^٨. فكان الله تعالى أقسم بالقلم كما أقسم بالتين والزيتون، وعلى حسب ما ذهب إليه الناس في ذلك، فقال بعضهم إنَّ لله أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس لخلقه أن يقسموا إلاَّ به. وقال آخرون إنَّ القسم في هذه المواضع برَبِّ المذكورات، وإن كان اسم الربِّ فيها مضمراً، وتقديره ربُّ التين والزيتون، وربُّ القلم وما يسطرون، وربِّ ق والقرآن المجيد، وأمثال ذلك. وقال آخرون إنَّه في صورة القسم ومعناه ابتداء الكلام بذكر منافع الخلق، وعلى جميع الوجوه فليس في القرآن شاهد ما ذكره أصحاب الحديث في اللوح والقلم على التفصيل.

وإن صحَّ الحديث بذلك، فإنَّ الله تعالى يحدث في القلم اعتمادات وحركات

١- سورة القلم (٦٨): ١.

٢- رض: فصل والجواب.

٣- حش، رض: الكاتب.

٤- حش، رض: من ذكر.

٥- رض: المعروفة.

٦- سورة الطور (٥٢): ١-٣.

٧- سورة ق (٥٠): ١.

٨- سورة التين (٩٥): ١-٣.

تتولد^١ منها^٢ الكتابة في اللوح بما شاء، والكتابة فعله وهو الكاتب لها، كما يحدث الكلام في الهواء، فيكون الكلام فعله وهو المتكلم. هذا على الحديث الوارد بأنه يأمر القلم فيجري بما يريد.

ويحتمل أن يكون لله مَلَكٌ موسوم يكتب وحيه في اللوح لما يتلقاه^٣ الملائكة، ويكون المعنى - فيما تضمنه الخبر من أن الله تعالى يأمر القلم فيجري في اللوح بما شاء^٤ - أنه يأمر الملك بكتب^٥ ما يشاء بقلمه [٢٤ و] فيكتبه. ويكون ذكر القلم يُراد به صاحبه تجوّزاً في الكلام وعلى مذهب الاستعارة فيه.

فأما القول بأنّ هناك قلماً جماداً يؤمر على الحقيقة فيفعل، فإنّه حال فاسد في العقول. ومن ذهب إلى أنّ القلم ملك حيّ ناطق واللوح كذلك، أخرج الحديث من جملة المفهوم، واستعار ذلك اسماً لا يعرف^٦ في اللغة. مع أنّه لا معنى لكتابة مَلَكٍ في مَلَكٍ. وإن كان الذّاهب إلى ذلك قد تعلّق فيه بحديث، فهو ضعيف لا يثبت لما ذكرناه.

المسألة التاسعة والثلاثون

وسأل فقال: أجمعنا أنّ الجنّة خلقت من ذهب وفضّة وحلية، وأنّها لا تنفنى وتهلك، وسائر الناس [اجتمعوا] وأنّ الحجر الأسود من الجنّة نزل مع آدم^٧، ولما

١ - حش: رض: يتولد.

٢ - رض: عنها.

٣ - حش: تتلقاه.

٤ - رض: بما يشاء.

٥ - في الأصل وحش: يكتب، صحّحناها على رض.

٦ - حش: لا تعرف. رض: لا نعرف.

٧ - رض: + عليه السلام.

حرقه القرمطي احترق وأتى الفناء عليه ، ولما كسره^١ لم يوجد فيه الكتاب الذي قد أجمعنا أن الله تعالى أودعه إياه.

والجواب ، أن الذي ادّعاء من إجماعنا على أن الجنة مخلوقة من فضة وذهب ، ليس كما ذكر ، وما في هذا إجماع وإن كان يجوز في العقول ذلك. ولو أجمعنا عليه كما قال ، لما امتنع أن يكون عنصر الجنة من ذهب وفضة أُحيل إلى خلق آخر كما كان الناس مخلوقة^٢ من تراب أُحيل إلى الحيوانية ، والجآن مخلوقاً من نار أُحيل إلى الحيوانية أيضاً ، ولو كانت الجنة من ذهب وفضة على حالهما لم يمتنع وجود ما ليس بذهب وفضة فيها ، وقد علمنا أن فيها أنهاراً^٣ من ماء غير آسنٍ ، ومن لبنٍ لم يتغير طعمه ، ومن خمرٍ لذّة للشاربين ، ومن عسل مصفى ، وفيها حور عین وفواكه وأطيار وطعام وشراب ، وهذا كله ليس بذهب ولا فضة ، فكذلك^٤ يكون الحجر من الجنة ، وليس بذهب ولا فضة.

بل قد جاء الحديث بأنه كان درة بيضاء^٥ فأهبط إلى البيت ، وأن لونه تغير لكثرة من كان يلمسه من الخطائين^٦ ، وليس يمتنع أن تسود^٧ الدرة البيضاء وتستحجر^٨ بشيء فيحدثه الله فيها من الصلابة والسواد ، ويجعل ذلك علماً على

١- حش: رض: كسر.

٢- حش: رض: مخلوقاً.

٣- حش: أنهار. ولعله أراد نفس الآية: فيها أنهار من ماء غير آسنٍ وأنهار من لبنٍ لم يتغير طعمه وأنهار من خمرٍ لذّة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، (سورة محمد (٤٧): ١٥).

٤- حش: فلذلك.

٥- عن ابن أبي عمير رفعه عن أحدهما عليهما السلام، أنه سُئل عن تقبيل الحجر؟ فقال: إن الحجر كان درة بيضاء في الجنة، وكان آدم يراها، فلما أنزلها الله عز وجل إلى الأرض، نزل إليها آدم عليه السلام فبادر فقبلها، فأجرى الله تبارك وتعالى بذلك السنة. (وسائل الشيعة ١٣/ ٣٢٢)
٦- روي عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام: أنه انما يقبل الحجر ويستلم ليؤدي إلى الله المهد الذي أخذ عليهم في الميثاق، وانما يستلم الحجر لأن مواثيق الخلائق رفيه، وكان أشدّ بياضاً من اللبن، فاسودّ من خطايا بني آدم، ولولا ما مسّه من أرجاس الجاهلية، ما مسّه ذو عاهة الأبرئ. (وسائل الشيعة ١٣/ ٣١٨).

٧- رض: تسود.

٨- رض: يستحجر.

عظم ضلال اللامس^١ لها مع الخبر بذلك، فأَيّ منكر [٢٥ ظ] في كون حجر هبط من جنة مخلوقة من ذهب وفضة. صورة الأمر فيه ما ذكرناه، لولا أنّ المتعلّق بذلك - لشبهة دخلت عليه فيه - يعيد^٢ من العلم والعلماء؟

فصل. وقوله إنّ الجنة لا تنفنى فهو كذلك، وليس بقاؤها يمنع من فناء شيء فيها، إذ^٣ ليس بقاء الدار منافياً لفناء أهلها، وبقاء المكان منافياً لفناء أهله، أو منافياً^٤ لما حلّه^٥ و جاوره من الأشياء، وهذا اشتباه ضعيف لا يغترّ به إلا مأفوف^٦، مع أنّ انكسار الشيء وتفرّق أجزائه^٧ ليس بفناء في الحقيقة، وتخلل^٨ الأجسام ليس بعدم لها. وما أظنّ المتعلّق بالكلام في هذا السؤال ممّن يجزم بشيء من العلم، وأظنّه حشويّاً تعاطى^٩ الاعتبار فتورّط بذلك في الجهالات.

فصل. وقوله: إنّهُ لمّا انكسر الحجر لم يوجد فيه الكتاب الذي أودعه في الميثاق، فلم يرد الخبر بأنّ الله^{١٠} كتب كتاباً ثمّ ألّقه الحجر، فيظنّ السائل ذلك. وإنّما ورد بأنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخذ العهد على بني آدم أودعه الحجر^{١١}، وأخذ

١ - رض: الملامس.

٢ - رض: فهو يعيد.

٣ - رض: كما أنّه.

٤ - حش: + لفناء.

٥ - حش، رض: أو.

٦ - حش: لا يعتبر.

٧ - حش: ضعيف. رض: مصفوف.

٨ - رض: الأجزاء.

٩ - رض: تحلّل.

١٠ - رض: يعاطى.

١١ - رض: + تعالى.

١٢ - عن الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لمّ جعل استلام الحجر؟ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ حيث أخذ ميثاق بني آدم، دعا الحجر من الجنة، فأمره فالتقم الميثاق، فهو يشهد لمن وافاه بالموافاة، (وسائل الشيعة ٣١٧/١٣). وفي حديث آخر: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: هل تدري ما كان الحجر؟ قلت: لا. قال: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله، فلمّا أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أوّل من أمّن به وأقرّ ذلك الملك، فاتّخذهُ الله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق، وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجددوا عنده في كلّ سنة الإقرار بالميثاق

العهد محتمل^١ إثبات الحجة عليهم بالعقول والأقدار والتمكين، وإن مستسخي الأعمال موكلون بالحجر ليرفعوا أعمال المسلمين من المقرين^٢ إلى غيرهم من الملائكة تعبداً لهم بذلك، وليلقي الكتاب المؤمن يوم القيامة بعمله الصالح، فبشر^٣ بالبشارة به. وقد قال الله عز وجل: «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^٤ وليس كل من استودع شيئاً جعله في نفسه ورأيه، ولا كل من أخبر عنه بأنه قد أودع شيئاً، كان المعنى بذلك نفسه دون ما جاوره وتعلق به ضرباً من التعلق، لجواز ذكر تسمية الشيء باسم ما جاوره وقاربه.

مع أنه لو ثبت أن الحجر وُضع فيه كتاب لم يمتنع أن يرفع الله الكتاب منه قبل كسره أو عنده، فلا تجد بفقده أن لا يكون موجوداً فيه قبل تلك الحال، هذا على تأويل الخبر وسلامته، فأما مع الريب فيه و^٥ الوقوف في صحته فلا عهدة علينا [٢٥ و] في صحته وسقمه.

والحديث الذي روى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لعمر بن الخطاب - عند قوله للحجر^٦: إني أعلم أنك لا تضر ولا تنفع -: مَهْ، يا ابن الخطاب! إن له عينين يبصر بهما وأذنين يسمع بهما^٧. أراد به أن معه موكلاً من الملائكة ذا عينين يبصر

والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم - إلى أن قال -: ثم إن الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكان، لأن الله حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان، وفي ذلك المكان ألقم الملك الميثاق... (وسائل الشيعة ٣١٨/١٣).

١ - حش: يحتمل.

٢ - رض: المقرين.

٣ - رض: فيسر.

٤ - سورة الجاثية (٤٥): ٢٩.

٥ - حش: أو.

٦ - رض: في الحجر.

٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرَّ عمر بن الخطاب على الحجر الأسود، فقال: والله يا حجر! إنا لنعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، إلا أنا رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبك فنحن نحبك. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يا بن الخطاب! فوالله لبيعته الله يوم القيامة وله لسان وشفطان، فيشهد لمن وافاه، وهو يمين الله في أرضه يبائع بها خلقه. فقال عمر: لا أبقانا الله في بلد لا يكون فيه علي بن أبي طالب، (علل الشرائع ٢/٢٢٦).

بهما وأذنين يسمع بهما^١. وقد يُقال في الكلام: إنَّ لهذا الطفل لساناً يحتجّ به^٢ عن نفسه، يُراد به الناصر^٣ الذي يدفع عنه، دون أن يُراد به نفسه. وهذا معروف في التحاور ومجاز^٤ الكلام.

فأمّا القول بأنَّ له عيين في نفسه مع جماديته يبصر بهما وأذنين^٥ يسمع بهما، فهو محال بديهة^٦ العقول، وليس بممتنع حمل الأخبار على مجاز الكلام، إذ أكثر ما في القرآن محمول على المجاز، وأكثر كلام العرب في نظمها ونثرها كذلك.

المسألة الأربعون

وسأل فقال: خبرنا عن قوله تعالى: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»^٧ وتعبّد الله النبي صلى الله عليه وآله بقوله^٨، ما وجهه؟ وأتى صراط بعد الإسلام والقرآن؟
والجواب^٩، أن الله تعبّد نبيّه صلى الله عليه وآله وكافة المسلمين بالرغبة إليه في إدامة التوفيق والألطف في الدين والتمسك منه بالصراط^{١٠} المستقيم بالمسألة لله تعالى في ذلك، فالنبي صلى الله عليه وآله وإن كان مهتدياً و متمسكاً بسبيل^{١١} الحقّ فلا غناء له^{١٢} عن إمداد الله تعالى بالتوفيق واللفظ له في استدامة ما هو عليه

١- «أراد به ... يسمع بهما» ليست في حش ورض.

٢- رض: + ويدأ يدفع بها.

٣- حش: + له.

٤- رض: مجازي.

٥- حش، رض: + في ذاته.

٦- حش: بديهة.

٧- سورة الفاتحة (١): ٦.

٨- رض: بقولها.

٩- رض: فصل والجواب.

١٠- حش، رض: بالطريق.

١١- رض: لسبيل.

١٢- حش، رض: به.

من ذلك، وليس يمتنع^١ أن يكون من لطفه رغبة^٢ إلى الله في ذلك وإظهار التضرع فيه، والمسألة في إدامته له. ولفظ القرآن يدل على ذلك، لأنه تعبد بسؤال ما يستقبل من الأفعال. ولا ينكر أيضاً أن يكون السؤال لذلك شرطاً في كمال العصمة وحراستها، وإذا لم يكن ذلك منكرًا زالت الشبهة في معناه على ما بيناه.

المسألة الإحدى والأربعون

وسأل عن قوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا»^٣، قال^٤: والله^٥

لا يجعل الغل في قلب أحد، فما وجه الدعاء؟

والجواب^٦، عن هذه المسألة كالأولى وهو أن الله تعبد^٧ بالرغبة إليه في

التوفيق لاستدامة مودة المؤمنين، واللفظ في إبقاء^٨ ذلك^٩ وإدامته عليهم^{١٠}، إذ بدوامه ينتفي الغل عن قلوبهم لأهل الإيمان، ولم يتعبد^{١١}هم بالرغبة إليه أن لا يخلق غلاً للمؤمنين في قلوبهم كما ظنه السائل. وليس كل من سأل الله تعالى أن يجنبه شيئاً يكرهه فقد سأل أن لا يفعل [٢٦ ظ] به ما يكرهه، إذ كان انتفاء الشيء قد يكون بفعل المسؤول به^{١٢} تركه، وبفعل^{١٣} ما يستعين به السائل على تركه. وإنما أضيف جعل ذلك إلى الله تعالى، وإن لم يكن فاعلاً له في الحقيقة، لأن تركه التوفيق لما ينفيه كالفعل له، فجاز أن يُضاف إليه على طريق الاستعارة واتساع

١ - رض: بـممتنع.

٢ - رض: رغبته.

٣ - سورة الحشر (٥٩): ١٠.

٤ - رض: فإن.

٥ - حش، رض: + تعالى.

٦ - رض: فصل والجواب.

٧ - رض: تعبدنا.

٨ - رض فيما يبقى.

٩ - حش، رض: + عليهم.

١٠ - حش، رض: لهم.

١١ - رض: فيه.

١٢ - رض: وبفعله.

الكلام ، وهذا معروف فى اللسان.

فصل. ألا ترى أنهم يقولون لمن ترك تأديب ولده والمراعاة له: فلان قد أهلك ولده وأفسده ، وإن لم يكن فعل به شيئاً على حال ، وإنما أضافوا إليه إفساده وإهلاكه لأنه ترك أن يفعل به ما يحميه عن الفسا والهلاك ، وإذا كان الأمر على ما ذكرناه ، بان به ما شرناه فى تأويل الآية على ما قدمناه.

المسألة الثانية والأربعون

وسأل عن قوله تعالى: «وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَا لَقَدْ كُنْتُمْ تَزْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَا ذَنْبَ لَكُمْ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ»^١ ، ثم قال فى الأسرى: «مَا كَانَ لِغَيْبِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْجِىَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا» إلى قوله: «لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^٢ ، فأين كان التثبيت ههنا وقد تهدده بما تهدده؟

والجواب^٣ ، أن الله تعالى ذكر منته على نبيه بالتثبيت له والعصمة والتأييد ، وأنه لو لم يفعل ذلك به لركن إلى المشركين ركوناً يستحق به منه العقاب ، كما ركن غيره إليهم ركوناً أوبقه وأهلكه ، فأخبر تعالى أنه عصمه مما تورط فيه غيره ، وثبته بالتوفيق ليثبت به^٤ الحجة على الخلق ، وعدد ذلك من آلائه عليه ونعمائه لديه ، ولم يزل صلى الله عليه وآله موقفاً مهيئاً محروساً بالعصمة والتأييد.

ولم يكن منه^٥ فى الأسرى ذنب عوتب عليه ، وإنما كان ذلك من أصحابه الذين أسروا بغير علمه ، وكفوا عن القتل طمعاً فى الفداء ، وأشاروا به على النبي

١- سورة الإسراء (١٧): ٧٤ و ٧٥.

٢- سورة الأنفال (٨): ٦٧ و ٦٨.

٣- حش، رض: فصلى والجواب.

٤- حش، رض: + صلى الله عليه وآله.

٥- حش، رض: له.

٦- حش: + عليه السلام. رض: + صلى الله عليه وآله.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ فَتَوَجَّهَ الْعُتْبَ عَلَيْهِمْ^١ فَنَسِيَ ذَلِكَ وَاللُّومَ وَالتَّهْدِيدَ ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلَ الْخُطَابِ قَدْ وَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَخَاتَمَتَهُ تَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ لَغَيْرِهِ ، وَإِنَّمَا وَجَّهَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ لِأَنَّهُ السَّفِيرُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ»^٢ فَوَاجِهَهُ بِالْخُطَابِ [٢٦] وَكَانَ الْمُرَادُ بِهِ أُمَّتُهُ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ بَعْدَ إِفْرَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْخُطَابِ: «إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ» فَجَاءَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ بَعْدَ الْإِفْرَادِ؟ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «مَا كَانَ لِإِنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْجِىَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا»^٣ فَجَاءَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ دُونَ التَّوْحِيدِ مَعَ أَنَّ قَوْلَهُ: «مَا كَانَ لِإِنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى» غَيْرُ مُفِيدٍ لِلْخَبَرِ عَنْ تَخْصِيصِهِ بِالرَّأْيِ فِي الْأُسْرَى ، وَلَا دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ عِتَابٌ لَهُ^٤ ، بَلْ هُوَ مُحْتَمَلٌ لِعِتَابِ مَنْ أَشَارَ بِذَلِكَ وَرَأَاهُ فِيمَنْ^٥ سِوَاهُ ، وَقَدْ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: «تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ»^٦ وَلَيْسَ مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِirَادَةُ عَرَضِ الدُّنْيَا ، وَالْخِلَافُ لِلَّهِ تَعَالَى فِيمَا ارَادَ مِنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا مِنْ صِفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَقَارِفَةٌ^٧ مَا يَحْبِطُ الْأَعْمَالُ ، وَيَسْتَحَقُّ عَلَيْهِ الْعِقَابُ الْعَظِيمُ عَلَى التَّعْجِيلِ وَالتَّأْجِيلِ فِي ظَاهِرِ الْكَلَامِ ، مِنْ تَوَجُّهِهِ إِلَى غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقَوْلِهِ: «تُرِيدُونَ» وَهَذَا اللَّفْظُ جَمْعٌ ، عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ.

فصل. مع أنه لا منافاة بين تثبيت الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى شَيْءٍ لَوْ زُلَّ عَنْهُ لِمَسَّهُ عَذَابُ أَلِيمٍ^٨ ، وَبَيْنَ وَقُوعِ ضَرْبِ آخِرَتِهِ لَوْلَمْ يَعْفَ عَنْهُ لَا سِتْحَقُّ

١- رض: اليهم.

٢- سورة الطلاق (٦٥): ١.

٣- سورة الأنفال (٨): ٦٧.

٤- حش، رض: + عليه السلام.

٥- رض: بمن.

٦- سورة الأنفال (٨): ٦٧.

٧- المقارفة: المخالطة. وقارف فلان الخطيئة أي خالطها، وقارف الشيء: داناه، ولا تكون المقارفة إلا في الأشياء الدنيئة. وفي حديث الإفك: إن كتب فارتب دنيا فتوبى إلى الله. وهذا راجع إلى المقاربة والمدانة. (راجع: لسان العرب).

٨- حش، رض: عظيم.

عليه عذاب عظيم^١، وقد يعصم الإنسان من^٢ شيء تكون العصمة له فيه لطفاً، ويخلّى بينه وبين شيء يكون التخلّى^٣ لمن سواء لطفاً، وتكون المصلحة بذلك عموماً. وهذا بحسب المعلوم^٤، والكلام فيه متعلّق بالأصلح، وليس يكاد يفهم معناه إلاّ من عرف قواعد الكلام فى الأصلح، وقليل من يعرف ذلك اليوم من المتكلّمين.

المسألة الثالثة والأربعون

وسأل عن قوله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا»^٥ ومعلوم أنّهم لقنوه عن النبيّ صلى الله عليه وآله فى حياته. فكيف يرثون ما حصل لهم فى حياة الموروث. ثم قال: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ»^٥ فوصفهم بالظلم مع وصفه لهم بالاصطفاء. وقال فى أصحاب الجنة: «يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ»^٦ والميراث لا يكون إلاّ من مورث^٧، فمن الموروث منه الفردوس؟ وهل كان لأحد قبلهم فمضى وورثه^٨ بعده؟ والجواب^٩، أنّ التوريث للكتاب فى هذه الآية هو إقامة من وصف بالميراث مقام الحكماء به [٢٧ظ] فيما مضى من الاستحفاظ^{١٠} له والاستيداع عليه والنصب لهم حكماً به، كما كان يحكم به الماضون من خلفاء الله تعالى، ولم يرد به حقيقته الميراث الذى هو تملك الأعيان من جهة ماضٍ كان يملكها قبل مضيه، وإنّما أراد

١- «وبين وقوع... عذاب عظيم» ساقطة عن حش.

٢- رض: عن.

٣- حش، رض: التخلية.

٤- حش: العلوم.

٥ - سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

٦ - سورة المؤمنون (٢٣): ١١.

٧ - رض: موروث.

٨ - حش: فورثوه. رض: موروثه.

٩ - حش، رض: فصل والجواب.

١٠- رض: الاستحفاظ.

ما ذكرناه تشبيهاً واستعاراً ، على ما بيناه .

فصل . وقوله تعالى : «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ»^١ بعد وصفه الوارثين للكتاب بالصفوة فإنه غير متناقض ، على ما ظنّه السائل ، لأنه لم يرد بقوله : «فَمِنْهُمْ» من أعيانهم ، وإنما أراد من ذوى أنسابهم وذرائعهم . فأما المصطفون فقد حرسوا بالاصطفاء من الظلم ، ووفقوا به للعدل . وكذلك قوله : «وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ»^٢ يريد به من نسلهم وأهلهم وذوى أنسابهم . وقوله : «وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ ذُرِيَ اللَّهُ»^٣ كذلك . ولم يرد بالأصناف الثلاثة أعيانَ مَنْ خَبَرَ عن اصطفائه وتوريثه الكتاب . وهذا يسقط ما توهمه السائل واعترضته الشبهة في علته فيه .

فصل . وقوله تعالى : «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»^٤ ، معناه مصيرهم إلى الفردوس بأعمالهم الصالحة واستحقاقهم الخلود في النعيم ، فشبههم في ذلك بمن انتقل إليه مالٌ من ماضٍ لحق^٥ ، وإن لم يكن ما ملكوه من ذلك منتقلاً من مالِكٍ كان له فيما سلف ، فجعل استحقاقهم لنعم الفردوس بأعمالهم ، كاستحقاق ذوى الأنساب أموالَ الماضين من أقربائهم بأنسابهم ، ولم يرد به الميراث الحقيقي ، على ما وصفناه .

وهذا الضرب من المجاز في الميراث معروف عند أهل اللسان لا يتناكره منهم اثنان . ولو لم يكن معروفاً لوجد المخالفون لرسول الله صلى الله عليه وآله من العرب طريقاً^٦ إلى القدح في نبوته صلى الله عليه وآله^٧ ولطعنوا بذلك في القرآن ، وقالوا^٨ : قد جئنا بمعاني فيه لا يعقلها أهل اللسان ، وتجاوزت فيه بما لا يسوغ

١- سورة فاطر (٣٥) : ٣٢ .

٢- سورة المؤمنون (٢٣) : ١١ .

٣- حش : بحق .

٤- رض : لنعيم .

٥- رض : طبقاته الى القدح في نبوته سبيلاً .

٦- حش ، رض : عليه السلام .

٧- حش ، رض : + له .

المجاز في معناه ، وهذا يبطل إضافتك إياه إلى الله^١. ولما لم يتعلّق مخالف للنبي صلى الله عليه وآله^٢ بطعن في القرآن من جهة تناقض واختلاف ، أو فساد عبارة أو معنى تضمّنه على حال ، مع تقرّيع النبي صلى الله عليه وآله لهم بالعجز عنه ، وصفه له بالبيان والحكمة وفصل الخطاب ، دلّ على سلامته مما ظنّه [٢٧] الملحدون فيه ، وبأن بذلك جهل متعاطي الطعن فيه بإفساد معانيه أو ألفاظه على حال.

المسألة الرابعة والأربعون

وسأل عن تحريم الله تعالى الشجرة على آدم^٣ ، قال: وقد ثبت أنّها الحنطة ، والجسد لا يبدّل له من الغذاء ، فكأنّه لما حرّم عليه ما لا بدّ له منه ، دلّ على أنّه يريد إخراجها من الجنّة ، وأنّه قد ألجأ إلى المعصية التي خرج بها من الجنّة.

والجواب^٤ أنّ الشجرة المحرّمة على آدم^٥ ليست الحنطة على الاصطلاح والاتّفاق ، حسب ما ادّعاء السائل ، وقد ذهب خلق كثير من المسلمين إلى أنّها الكرمة. ولو كانت الحنطة ، كما قال السائل ، لما كان في تحريمها إلجاء آدم^٥ إلى تناولها ، لأنّ له في غيرها من الغذاء مندوحة عنها. ولو لم تكن^٦ مندوحة عنها لما كان ملجأ إلى تناولها^٧ ، لأنّ لله تعالى أن يتعبّده^٨ بالصبر على ما يتلف نفسه ، كما تعبّد أكثر خلقه بالصبر على الشّهادة ، وفرض عليهم من الصبر في القتال على ما لا

١-رض: + تعالى.

٢-حش: عليه السلام.

٣-رض: + عليه السلام.

٤-رض: فصلّ والجواب.

٥-رض: + عليه السلام

٦-حش، رض: + له.

٧-رض: ملجأ لذلك إلى تناولها أيضاً.

٨-حش: الله تعالى يتعبّده.

بقاء لهم معه. وهذا أيضًا يبطل شبهة السائل فيما تعلق به من تحريم الله تعالى على آدم الأكل من الشجرة المذكورة في القرآن.

المسألة الخامسة والأربعون

وسأل عن قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ»^١، قال: فكيف يصح خطاب أشباح غير مكلفة؟ ومع هذا فلسنا نرى أحدًا يذكر ذلك في الدنيا، ولسنا نعلم ذلك عمومًا أو^٢ خصوصًا، فليعرفنا ما عنده في ذلك إن شاء الله^٣.

والجواب^٤، أن الآية تتضمن أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم^٥، وليست متضمنة أخذها^٦ من ظهر آدم، على ما تخيله فريق من الناس. والذي أخذه الله من ذرية آدم هو العهد. وأخذ^٧ العهد منهم بإكمال عقولهم وإلزام أنفسهم، دلالة حدوثهم والحجة عليهم بالربوبية، وذلك هو الإشهاد لهم على أنفسهم. وإخباره عنهم بأنهم قالوا: بلى، مجاز في الكلام يفيد أنهم غير منكرين آثار الصنعة^٨ فيهم، وقيام الحجة عليهم لبارئهم^٩ بالإلهية والتوحيد، والإيجاب والإقرار له، والإعتراف منهم بنعمته عليهم، والشكر له على ذلك.

ومثله قوله تعالى: «ثُمَّ [٢٨ظ] أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا

١- سورة الأعراف (٧): ١٧٢.

٢- حش: ام.

٣- رض: + تعالى.

٤- رض: فصل والجواب.

٥- حش، رض: ذرياتهم.

٦- رض: أخذه.

٧- حش، رض: أخذه.

٨- رض: غير ممنوع من آثار الصفة.

٩- رض: ببارئهم.

وَلِلْأَرْضِ آثِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ^١ وهو تعالى لم يقل للسماء والأرض قولاً صريحاً: «أَتَيْنَا» لكنه فعلهما فكان بفعله بهما^٢، وتيسر ذلك عليه كالقائل لغيره: آئت^٣، فأتاه من غير تعذر ولا تثبت. ولم تقل السماء والأرض قولاً صريحاً: «أَتَيْنَا طَائِعِينَ» بل انفعلتا بمشيئة الله تعالى، ولم يتعذر صنعهما عليه. فكاتتا بذلك كالمجيب لمن دعاه مسرعاً وأطاعه باخعاً^٤، وقال: سمعاً وطاعة^٥، والعرب تتوسع بمثل هذا الكلام في نحو ما ذكرناه.

قال الشاعر:

وقالت لي^٥ العينان سمعاً وطاعةً وحذرًا كالدرلما يثقب
والعينان لم تقل قولاً على الحقيقة، لكنهما أسرعتا بالدموع على وفاق إرادة صاحبهما فعبر عنهما بالقول الصريح.

وقال آخر:

امتلاً الحوض وقال قطنى مهلاً رويداً قد ملأت بطنى

وقال آخر^٧: شكا إلى جملى طول السرى .

وهذا كقوله: شكا إلى بعيرة^٨ وتحمم .

والمراد فى ذلك كله الخبر عن الأفعال ووقوعها، دون الكلام الحقيقى. وهذا

هو الاستعارة [فى الكلام]^٩ والتشبيه والمجاز.

فصل. فأما سؤاله عن العموم فى ذلك والخصوص، فهو عندنا عموم فى كل

١- سورة فصلت (٤١): ١١

٢- رض: لهما.

٣- حش، رض: آئتى.

٤- حش: ناجعاً.

٥- رض: له.

٦- رض: وجدتهما.

٧- رض: الآخر.

٨- رض: بعيرى.

٩- أثبتناها عن حش ورض.

مكلف من بنى آدم ، وليس بعموم فى الجميع ، دلالة اختصاص الحجة بذوى التكليف ، دون الأطفال ونواقص العقول.

المسألة السادسة والأربعون

وسأل فقال: إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله معصوماً ، فما وجه التهديد له والوعيد فى القرآن؟

والجواب^١ ، أن العصمة لا تنافى القدرة على المعصية ، والخواطر فيها ودعاء الشهوة إلى فعلها ، فلذلك احتاجت الأنبياء معها إلى الوعيد والتهديد. ولأنَّ العصمة إنما هى بالأمر والتَّهى ، والوعد والوعيد والتهديد ، ولولا ذلك لم يتكامل فى معناها. وإذا كانت بمجموع اشياء من جملتها الوعد والوعيد والترهيب والترغيب^٢ ، بطل قول القائل: ما وجه ذلك مع العصمة؟ وسقطت الشبهة فيما تخيله ، مع^٣ الغناء عن ذلك ، على ما شرحناه. [٢٨و]

المسألة السابعة والأربعون

وسأل عن قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» فقال: ما^٤ رأيناه جاهد المنافقين ، فما الوجه فى ذلك؟

والجواب^٥ أنَّ الجهاد على ضربين: جهاد بالسيف وجهاد باللسان ، وكان الجهاد بالسيف^٦ مفروضاً على النبى صلى الله عليه وآله للكفار الذين ظاهروا

١- رض: فصل والجواب.

٢- حش، رض: الترغيب والترهيب.

٣- رض: من.

٤- سورة التوبة (٩): ٧٣، وسورة التحريم (٦٤): ٩.

٥- حش، رض: وقال: فما.

٦- رض: فصل والجواب.

٧- حش، رض: والجهاد بالسيف كان.

بالكفر والشرك. وكان جهاد اللسان^١ مفروضاً عليه للمنافقين ، وقد أدّى الفرضين معاً ، فجاهد الكفار بالسيف^٢ وجاهد المنافقين باللسان كما فرض عليه.

ووجه آخر ، هو أنه قد جاهد الفريقين بالسيف ، فتولّى جهاد^٣ الكفار ، وأوصى^٤ أخاه وابن عمّه [أمير المؤمنين عليه السلام]^٥ بجهاد المنافقين من بعده^٦ ، فقام بأمره فى ذلك ، ونفذ وصاته فيه ، فجاهد أهل البصرة وأهل الشام وأهل النهروان ، وأقام حدّ الله^٧ فيهم.

وليس لقائل أن يقول: إنّ الجهاد فرض عليه ليتولاه بنفسه ، إذ جهاد كثير من الكفار فى أمراء ، لم يباشر جهادهم بنفسه ، وكان^٨ هو المجاهد لهم بحكم الدين ، إذ كان أمراؤه تولّوه^٩ نيابة عنه ، وامثالاً لأمره فيه ، فكذاك يكون الحكم فيما تولّاه أمير المؤمنين^{١٠} فى جهاد من سمّيناه ، ويكون النبىّ صلى الله عليه وآله هو المجاهد لهم بحكم الدين على ما شرحناه.

فصل . ولعلّ قائلًا يقول: قد وجدناكم حكمتكم على طوائف بالتفاق ، لم يتولّ على^{١١} [عليه السلام] جهادهم.

فيقال له: قد وجدنا جماعة كفّاراً من أهل الكتاب وغيرهم لم يتولّ رسول الله صلى الله عليه وآله جهادهم ، ولم يمنع ذلك إداء الفرض عليه فى جهاد الكفار.

١- حش، رض: وجهاد اللسان كان.

٢- حش: + كما أمر الله تعالى. رض: + كما أمره الله تعالى.

٣- حش، رض: + الفريق من .

٤- حش: ووصى.

٥- أثبتناه عن حش ورض.

٦- حش، رض: + بالسيف.

٧- حش: + تعالى.

٨- حش، رض: + عليه السلام.

٩- حش: وكان أمراؤه يتولّونه. رض: + عنه صلى الله عليه وآله.

١٠- حش: + عليه السلام. رض: + صلوات الله عليه وآله.

١١- أثبتناه عن حش ورض.

المسألة الثامنة والأربعون

وسأل عن قوله تعالى: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا»^١، وقال: ما معنى هذا الكلام، والخزى بعيد عنه^٢ لعصمته؟
والجواب^٣، أن الله تعالى أخبر بأنه لا يخزى نبيه والمؤمنين يوم القيامة، ويخزى أعداءه من الكافرين، ودلّ بذلك على أنه محروس من العذاب يوم يحلّ بالظالمين الضالّين^٤، لهداه^٥ وطاعته لله واجتناب معاصيه. فأى شبهة عرضت للسائل في هذه الآية من حيث أنه ثبت^٦ عنده عصمة النبي صلى الله عليه وآله أو ليس^٨ ثبوت^٩ العصمة يدل^{١٠} على بُعد صاحبها من الخزى وحراسته من ذلك؟ فإذا جاء الخبر بوفاق العصمة كان مؤكداً لما في العقول، وتأكيده الشيء ينفي^{١١} الشبهة فيه، فتخيّل صاحب السؤال في الآية خلاف ما يقتضيه، تخيّل فاسد. وإنما كانت الشبهة [٢٩ظ] تعرض لو جاء الخبر بخلاف مضمونه، والعياذ بالله! فأباً ما هو مؤكّد لدلالة العصمة، فالشبهة بعيدة عن^{١٢} قلوب العقلاء في معناه، والهادى هو الله^{١٣}.

١- سورة التحريم (٦٤): ٨

٢- رض: + صلى الله عليه وآله.

٣- حش، رض: فصل. والجواب.

٤- رض: + صلى الله عليه وآله.

٥- حش، رض: يحلّ بالضالّين.

٦- رض: + عليه السلام.

٧- حش، رض: من حيث ثبت.

٨- حش: إذ.

٩- رض: بثبوت.

١٠- رض: تدل.

١١- رض: يبقى، وهو تصحيف.

١٢- حش، رض: من.

١٣- «والهادى هو الله» ساقطة عن حش ورض.

المسألة التاسعة والأربعون

وسأل فقال: رأينا الناس بعد الرسول^١ قد اختلفوا خلافاً عظيماً في فروع الدين وبعض أصوله، حتى لم يتفقوا على شيء منه. وحرفوا الكتاب وجمع كل واحد منهم مصحفاً وزعم أنه الحق، مثل أبي بن كعب وابن مسعود وعثمان بن عفان، ورويتهم أن أمير المؤمنين عليه السلام جمع القرآن ولم يظهره، ولا تداوله الناس كما ظهر غيره. ولم يكن أبي وابن مسعود^٢ بأجل من أمير المؤمنين عليه السلام في قلوب الناس، ولم يتمكن عثمان من^٣ منعهما مما جمعا، ولا حظر^٤ عليهما قراءته، فما بال مصحف أمير المؤمنين عليه السلام لم يظهره حتى يقرؤه الناس ويعرفوه؟ وهل الحجة ثابتة بهذا المتداول أم لا؟

والجواب^٥، أن سبب اختلاف الناس في الفروع والأصول بعد النبي صلى الله عليه وآله عدول جمهورهم عن أمير المؤمنين^٦، وتقديم من قدموه عليه، ورغبتهم عن الاقتداء بآل محمد عليهم السلام والتجاؤهم إلى من عمل في دينه بالرأى والظنون والأهواء، ولو اتبعوا سبيل الحق في الاقتداء بالعترة عليهم السلام، والتمسك بالكتاب، لما وجد بينهم تنازع واختلاف.

قال الله تعالى اسمه في ذم ما صاروا إليه من الاختلاف ونهيهم عن ذلك^٧ : «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^٨، ونفى عن دينه وكتابه الاختلاف فقال سبحانه^٩ : «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ

١- حش، رض: + صلى الله عليه وآله.

٢- حش، رض: + في نفوس الناس.

٣- ليست في حش ورض.

٤- رض: ولا الحظر.

٥- حش، رض: فصل والجواب.

٦- رض: + عليه السلام.

٧- حش، رض: ونهاهم عن ذلك بقوله.

٨- سورة آل عمران (٣): ١٠٥.

٩- حش، رض: بقوله تعالى.

الله لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^١.

فأما سؤاله^٢ عن ظهور مصحفَي^٣ أبي وابن مسعود، واستتار مصحف أمير المؤمنين عليه السلام، فالسبب في ذلك عظم وطأة أمير المؤمنين عليه السلام على ملوك الزمان، وخفة وطأة أبي وابن مسعود عليهم، وما اعتقدوه من الفساد^٤ بظهور خلاف أمير المؤمنين عليه السلام وقلة احتفالهم بسواه^٥، ولأن أمير المؤمنين^٦ كان في عداد الأضداد لهم [٢٩ و] والأنداد، وأبي وابن مسعود في عداد الرعية^٧ والأتباع، ولم يكن على القوم كثرة ضرر بظهور مصحفَيْهما، بخلاف مصحف أمير المؤمنين عليه السلام فبذلك تباينت الحالتان في مصاحف^٨ القوم.

فصل. مع أنه لا يثبت لأبي وابن مسعود وجود مصحفين منفردين، وإنما يذكر ذلك من طريق الظن وأخبار الآحاد، وقد جاءت بكثير مما يُضاف إلى أمير المؤمنين عليه السلام من القراءة أخبار الآحاد التي جاءت بقراءة أبي وابن مسعود، على ما ذكرناه.

فصل. وأما قوله: خبرونا هل الحجة ثابتة فيما جمعه عثمان؟ فإن أراد بالحجة الإعجاز فهي فيه، وإن أراد الحجة في جميع المنزل فهي في أكثره دون جميعه. وهذا الباب يطول الشرح بمعناه^٩، وفيما أثبتناه منه كفاية، إن شاء الله تعالى.

١ - سورة النساء (٤): ٨٢.

٢ - رض: سؤالهم.

٣ - حش، رض: مصحف.

٤ - حش، رض: + عليهم.

٥ - رض: بخلاف من سواه. حش: وقلة اخفائهم من سواه.

٦ - حش، رض: + عليه السلام.

٧ - حش: + لهم.

٨ - رض: مصحف.

٩ - حش، رض: لمعناه.

المسألة الخمسون

وسأل فقال: الناس مختلفون في رقية وزينب، هل كانتا ابنتي رسول صلى الله عليه وآله وسلم أم ربيتيه؟ فإن كانتا ابنتيه فكيف زوجهما من أبي العاص بن الربيع وعتبة بن أبي لهب، وقد كان عندنا منذ أكمل الله عقله على الإيمان، وولد مبعوثاً، ولم يزل نبياً صلى الله عليه؟ وما باله رد الناس عن فاطمة عليها السلام ولم يزوجها إلا بأمر الله عز وجل، وزوج ابنتيه بكافرين على غير الإيمان؟
والجواب^١، أن زينب ورقية كانتا ابنتي رسول الله صلى الله عليه وآله والمخالف لذلك شاذ بخلافه، فأما تزويجه^٢ لهما بكافرين فإن ذلك كان قبل تحريم مناكة الكفار، وكان له^٣ أن يزوجهما لمن يراه، وقد كان لأبي العاص^٤ وعتبة نسب برسول الله صلى الله عليه وآله وكان لهما محل عظيم إذ ذاك، ولم يمنع شرع من العقد لهما فيمتنع رسول الله صلى الله عليه وآله من أجله.

فصل. وأما فاطمة^٥ فإن السبب الذي من أجله رد رسول الله صلى الله عليه وآله خاطبها^٦ حتى جاء الوحي بتزويجها أمير المؤمنين عليه السلام، فلأنها كانت سيّدة نساء العالمين، وواحدة الأبرار من النساء أجمعين، وكانت بفضلها في الدين تفوق على كافة نساء العالمين^٧، [٣٠ ظ] فلم يكن لها كفو إلا^٨ أمير المؤمنين عليه السلام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يرتقب الوحي في أمرها، ليكون العقد لها بحجة يخصم بها المخالفين، ويدل بها على مكانها من

١- رض: فصل والجواب.

٢- حش، رض: + عليه السلام.

٣- حش، رض: + عليه السلام.

٤- في الأصل ورض: لأبي بن العاص، صحّحناها على حش.

٥- حش، رض: + عليها السلام.

٦- رض: خاطبها.

٧- حش، رض: المسلمين.

٨- رض: سوى.

الله تعالى ومنزلتها في الدين. ولو كانت كأختيها في الأعمال لكان لها من الخلق أكفاء كثيرة، ولم تكن الحاجة إليها في الاختياراً صادقة إلى نزول الوحي في ذلك عن علام الغيوب.

فصل. وقوله إنَّ النبي^٢ وُلد مبعوثاً ولم يزل نبياً، فإنَّه محتمل الحق من المقال، وباطل فيه على حال. فإن أراد بذلك أنه لم يزل في الحكم مبعوثاً في العلم نبياً فهو كذلك. وإن أراد أنه لم يزل موجوداً في الأزل ناطقاً رسولاً، وكان في حال ولادته نبياً مرسلًا كما كان بعد الأربعين من عمره فذلك باطل، لا يذهب إليه إلَّا ناقص غيبي، لا يفهم عن نفسه ما يقول^٣، والله المستعان وبه التوفيق.

المسألة الحادية والخمسون

وسأل فقال: لِمَ لم يردَّ أمير المؤمنين عليه السلام فذكاً لِمَا أفضى الأمر إليه وتابعه^٤ الناس: وكيف وسعه ذلك؟ وما بال عمر بن عبدالعزيز تيسر له^٥ ردّها، وتعدّر على أمير المؤمنين عليه السلام؟ وكيف ردّها المأمون ولم يمنعه من ذلك مانع، وعليّ عليه السلام اتقى الله منهما، وأعظم سلطاناً وأجلّ في النفوس؟
والجواب^٦، عن ذلك أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ممتحناً في زمانه بما لم يمتحن به عمر بن عبدالعزيز والمأمون، بل لم يمتحن به أحد من الخلق أجمعين، وهي مباينة^٧ عائشة بنت أبي بكر له عليه السلام، وهي عند الجمهور أفضل أزواج النبي صلى الله عليه وآله، ومباينة طلحة والزبير وهما عند أنفسهما وجمهور من العامة نظراؤه^٨ في الجلالة، واجتماع الثلاثة على حربه والظعن في إمامته،

١- حش. رض: ولم تكن الحاجة في الاختيار لها.

٢- حش: + عليه السلام. رض: + صلى الله عليه وآله.

٣- في الأصل: بالقول، صحّحناها على حش ورض.

٤- رض، مل: بايعه.

٥- حش: يسترد إليه.

٦- رض: فصل والجواب.

٧- رض، مل: وهو بمباينة.

٨- رض، مل: نظيراً.

والاجتهاد في التماس الحيل لحل أمره وتفريق جمعه، وسفك دمه ودماء ذريته وأنصاره، والتشنيع عليه بالأباطيل، مع كون ناصريه في الحروب ممّن^١ يرى صواب أبي بكر في منع فاطمة عليها السلام فدكاً [٣٠ و] وضلالة ناقض كلمته في ذلك. ومنى عليه السلام بمعاوية بن أبي سفيان ومن كان في حيزه^٢ من الصحابة والوجوه عند العامة بأعظم ممّا^٣ منى به^٤ طلحة والزبير وعائشة. واتفق عليه من أصحابه الذين كانوا بطانته وخاصته ما شهرته من^٥ المحنة له به يغني^٦ عن ذكره مفصلاً، حتّى أكفره فريق منهم، وألحد فيه آخرون فاتخذوه ربّاً معبوداً، فاضطر [لذلك]^٧ إلى الاستنصار عليهم من جمهورهم القائلين^٨ بتصويب المتقدمين عليه في منع فاطمة فدكاً، وتخطئة من شك في ذلك. فلم يجد لهذه الأسباب طريقاً لاسترجاع فدك^٩، وإظهار التضليل لمن تقدّمه، وقضائه^{١٠} فيها بنقيض الصواب عند الله تعالى وخلاف المنزل من القرآن.

ورأى عليه السلام أنّ تركه بعض حقوقه واستنزال ولده عن الطلب بميراثه، للتوصل بذلك إلى إقامة^{١١} حقوق الله تعالى وهي أعظم، وحراسة الدين وهو أولى، فوجه الرأي وصواب التدبير أنّه لا يسعه تضييع معظم الدّين بالنظر في صغيره، وإهمال كثيره بحفظ قليله، لا سيّما وقد علم^{١٢} أنّ ما يرومه من ذلك لا يتمّ، وأنّ

١ - باقي النسخ: من.

٢ - حش: حيرة.

٣ - رض، مل: ما.

٤ - حش، رض، مل: + من.

٥ - رض، مل: في.

٦ - رض، مل: تغني.

٧ - أثبتناها عن باقي النسخ.

٨ - رض، مل: يدين.

٩ - رض: إلى الاسترجاع. مل: إلى استرجاع.

١٠ - رض، مل: وقضى.

١١ - رض، مل: افاضة.

١٢ - رض: + عليه السلام.

السعي فيه يفسد عليه نظام الدين والدنيا معاً، ويحلّ عليه عقد التدبير، وقد بين ذلك عليه السلام في قوله لقضاته وقد سألوه: بم نقضي؟ فقال: اقضوا بما كنتم تقضون حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي.

وقوله^١ عليه السلام: لو ثنيت^٢ لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم، حتى يزهر^٣ كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب إن علياً قضى بقضائك.

وقوله: إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله الحديث^٤

١ - حش، رض، مل: وقال.

٢ - رض، مل: ثنى.

٣ - باقي النسخ: يزهو.

٤ - رض. مل: بحديث. روى الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد: ١٥) عن الأصمغ بن نباتة، قال: لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد مُعْتَمَلاً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، لا بسأ يردته، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه، ووضعها أسفل سُرّته، ثم قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو تُتّي لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب إن علياً قضى بقضائك... وقال العلامة المجلسي: روى ابن البخاري من سِتّة طرق، وابن المفضل من عشر طرق، وإبراهيم الثقفي من أربعة عشر طريقاً، منهم عدي بن حاتم والأصمغ بن نباتة، وعلقمة بن قيس ويحيى بن أم الطويل، وزرّ بن حبّيش وعباية بن ربعي وعباية بن رفاعه وأبو الطفيل، أن أمير المؤمنين عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار - وأشار إلى صدره - كيف ملأ علماً لو وجدت له طالباً، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقني رسول الله صلى الله عليه وآله زقاً، فاسألوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين. أما والله لو تُتّي لي الوسادة ثم أُجلست عليها، لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينادي كل كتاب بأنّ ←

فلأن آخر من السماء فيخطفني الطير أحب إلي من أن أقول على رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يقل، وإذا حدثتكم عن نفسي فإني أنا رجل محارب والحرب خدعة^١. فبين عليه السلام أنه كان مضطراً إلى التألف^٢ والمدارة وغير متمكن [٣١ظ] من القضاء لما^٣ يراه في الدين، ومحتاجاً إلى التقية والاستصلاح.

وفي هذا القدر كفاية وغناء عما سواه في جواب ما سأل عنه السائل من أمر فذك، وترك أمير المؤمنين عليه السلام نقض أحكام المتقدمين عليه فيها، مع بيعة الناس له. وبذلك يندفع ما توهمه وتظناه.

فصل. وبعد، فشتان بين حالتي أمير المؤمنين عليه السلام ومن ذكره السائل في الرأي والقضاء! فأمر المؤمنين عليه السلام مدبر الدين والدنيا، وأهلها على علم بالحال والعاقبة، وصالح شامل في العاجل والآجل، ومثال قد مثّل له في

→ علياً حكم في بحكم الله في - وفي رواية حتى ينطق الله التوراة والإنجيل، وفي رواية: حتى يزهر كل كتاب من هذه الكتب ويقول يا رب إن علياً قضى بقضائك. (بحار الانوار ١٥٣/٤٠).

١ - روى أبو العباس الحميري (في قرب الاسناد ١٣٣) عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن علي عليه السلام أنه قال: الحرب خدعة، إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً، فوالله لأن آخر من السماء أو تخطفني الطير أحب إلي من أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا حدثتكم عني فإني الحرب خدعة. ونقله عن قرب الاسناد العلامة المجلسي في بحاره ٢٤٦/٢٠ و ٣١/١٠٠. أقول ويشبهه قول أبي القاسم الحسين بن روح وكيل الناحية المقدسة رضي الله عنه، قال محمد بن إبراهيم بن اسحاق (ره): فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (ره) في الغد وأنا أقول في نفسي: أتراه ذكر لنا ما ذكر يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأني وقال: يا محمد بن إبراهيم! لئن آخر من السماء تخطفني الطير، أو تهوي بي الريح في مكان سحيق، أحب إلي من أن أقول في دين الله برأيي ومن عند نفسي، بل ذلك عن الأصل، ومسموع من الحجة صلوات الله عليه وسلامه. الاحتجاج ٤٧٣/٢ وراجع سفينة البحار ٢/١٠٢.

٢ - حش: التألف.

٣ - باقي النسخ: بما.

ذلك، ونَصَّ لا يتعدّاه. وغيره من أمراء الدّنيا وملوكها يعملون على الهوى، ويخبطون في الدّين والدّنيا خبط عشواء، ولا علم لهم بالعاقبة، ولا بصيرة لهم بشاهد الحال، ولا فكرة لهم في الصّلاح، ولو فكّروا في ذلك لكان غير مأمون عليه الخطأ فيه والضلال.

وهذا أيضاً يسقط شبهة السائل وما اعتمده من ضرب الأمثال. وفي غير هذه المسألة أجوبة شتّى قد سارت بها الرّكبان وثبتت في اماليّ المنثورة في الأصقاع والأمصار. وفيما أثبتّه في هذا المقام^١، بلاغ وإقناع لمن تأمّله بعين الإنصاف، والله الموفق والمعين^٢، وهو حسبنا ونعم الوكيل^٣.

تمت - بحمد الله تعالى، والصلاة على نبيّه محمّد وآله والسلام عليهم -
أجوبة الشيخ المفيد رضي الله عنه عن أسئلة الحاجب المعروفة بالمسائل الحاجبيّة.

على يد محمّد بن الشيخ طاهر السماوي

في النجف في منتصف ربيع الثاني

١٣٣٥

حامداً ومصلياً

مسلماً

١ - باقي النسخ: المكان.

٢ - رض، مل: للضّواب.

٣ - رض، مل: + نعم المولى ونعم النصير.

فهرس الموضوعات

- ١ - ماذا تعني الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾^(١)؟
- ٢ - هل أنَّ الرسول الأكرم وآله - عليهم السلام - أفضل من إبراهيم وآله - عليهم السلام -؟
- ٣ - كيف قال يعقوب: ﴿أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ﴾^(٢) مع أنَّ لحوم الأنبياء محرمة على الوحوش؟
- ٤ - كيف تسجد النجوم والشمس والقمر والشجر والجبال كما ورد ذكر ذلك في القرآن؟
- ٥ - كيف أصبح موسى - عليه السلام - تلميذ الخضر - عليه السلام - رغم أنَّ موسى أرفع مرتبة من الخضر؟
- ٦ - ما هو وجه دعاء أمير المؤمنين - عليه السلام - في قوله عن القاعدين عن نصرته «اللهم أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني»؟
- ٧ - كيف تصل الأوامر والنواهي الإلهية إلى أئمة الهدى - عليهم السلام - مع أنَّ أي مخلوق لا يمكنه أن يدرك ذات الله - جلَّ وعز -؟
- ٨ - في الخبر المنسوب إلى النبي أنه قال ما مضمونه: ما منا إلا من همَّ أو عصى، إلا يحيى بن زكريا، فإنه ما همَّ ولا عصى، قال: وقد سماه الله سيِّداً ولم يستمَّ غيره.

١ - الأحزاب: ٣٣.

٢ - يوسف: ١٣.

فإذا كان الحديث صحيحاً، فإنَّ يحيى سيكون أفضل الأنبياء.

٩- في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) كيف أطلق على المعدم شيء ووجه الخطاب له؟ والمعدم كما هو معلوم ليس بشيء، والخطاب يوجه دائماً إلى الموجود.

١٠- كيف يقول الله تعالى بعد فناء الخلق: ﴿لِمَنْ أَلْمُكُ أَلْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٢) وهو خطاب للمعدم لعدم وجود الخلق؟

١١- كيف كلم الله موسى - عليه السلام -؟^(٣)

١٢- هل في القرآن نص على خلافة أمير المؤمنين - عليه السلام -؟

وهل النص مقدم على الانتخاب والاختيار؟ وأليست الخلافة في إقامة الصلاة دليل على الخلافة في الإمامة؟

١٣- لماذا وزع علي بن أبي طالب - عليه السلام - غنائم معركة صفين، ولم يوزع غنائم معركة الجمل؟

١٤- لماذا كان يفضل رسول الله - صلى الله عليه وآله - البعض رغم عدم اتصافه بالشجاعة أو بشرف خاص أو بعشيرة كبيرة؟

١٥- كيف تم تزويج أم كلثوم ابنة أمير المؤمنين - عليه السلام - بعمر؟

١٦- لو كان حديث الغدير صحيحاً، وسمعه الأنصار، فلم رشحوا سعد بن عبادَةَ للخلافة؟

١٧- لو قلتم إنَّ الله كان وحده ولم يكن معه شيء، فمِمَّ وُجِدَت الأشياءُ الحادثة؟

١٨- ما هو الفرق بين «الزمان» و«الدهر»؟ وماذا تعني الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَى

عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾^(٤) مع قولنا إنَّ الأشباح

مخلوقات قديمة؟

١ - النمل: ٤٠.

٢ - غافر: ١٦.

٣ - النساء: ١٦٤، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

٤ - الانسان: ١.

- ١٩ - هل خلقت الجنة والنار؟ وأية صورة لهما؟ ومم خلق الريح؟
- ٢٠ - إننا نقول إن الإمام يعلم بما سيقع، فلماذا دخل أمير المؤمنين - عليه السلام - المسجد ليلة ١٩ رمضان؟ أو صالح الإمام الحسن - عليه السلام - معاوية؟ أو تحرك الإمام الحسين - عليه السلام - نحو الكوفة؟
- ٢١ - حرف اللام في الآية الكريمة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١) للتأكيد، فكيف قُتل الإمام الحسين - عليه السلام - مظلوماً ولم ينزل الله تعالى غضبه على قتلته؟ بينما غضب الله على القوم الذين عقروا ناقة صالح - عليه السلام - وأبادهم؟
- ٢٢ - لو كانت عائشة منافقة، والإمام علي - عليه السلام - يعلم بذلك، فلم لن يطلقها رسول الله - صلى الله عليه وآله -؟ ألم يكن طلاقها أهم مما فعلته في معركة الجمل من سفك الدماء؟
- ٢٣ - ما هو السر الذي أشار الله تعالى إليه في الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾^(٢)؟
- ٢٤ - مع الاعتقاد بحياة أئمة الهدى - عليهم السلام -، فهل هم في قبورهم المطهرة؟ وهل يمكنهم البقاء أحياء على هذه الصورة؟
- ٢٥ - أي حياة هي المقصودة في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُزَرَّقُونَ﴾^(٣) وهل هناك رزق للموجودات غير الجسمية؟
- ٢٦ - ما هو المقصود بالحجاب في الآية الشريفة: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(٤)؟ وهل يمكن لغير المحدود أن يكون وراء حجاب؟

١ - غافر: ٥١.

٢ - التحريم: ٣.

٣ - آل عمران: ١٦٩.

٤ - الشورى: ٥١.

٢٧- ما المراد بـ«يمينه» و«قبضته» في الآية الكريمة: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ﴾^(١)؟

٢٨- ما المراد بمغفرة الذنوب التي دون الشرك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾^(٢)؟ وهل تشمل المغفرة الالهية القتل العمد أو الخروج على إمام العصر إن كان القاتل أو الخارج غير مشرك؟

٢٩- لم قضى الله على أصحاب الفيل الذين جاءوا لهدم الكعبة ولم يمهلهم، بينما أقدم الحجاج بن يوسف على هدمها، وقام القرمطي بقتل الناس من حولها ونزع الحجر الأسود من مكانه دون أن يواجه برد إلهي؟

٣٠- هل أنّ بعض الأعمال مثل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير والربا والزنا كانت محللة في يوم ما ثم حُرمت؟ أم إنها كانت محرمة في جميع الأديان الالهية؟

٣١- ماذا يُراد بالاختصاص ونوعه في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾^(٣)؟

٣٢- هل هو عرض للامانات الالهية على الجمادات في الآية الكريمة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا...﴾^(٤)، أو هل يصح تكليف الجمادات؟

٣٣- مع أنّ الخشية والخوف هما من صفات المكلفين والعقلاء، فكيف يقول تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعاً مُتَصَدَّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...﴾^(٥)؟

٣٤- معروف أنّ الله عادل لا يكلف ما لا يُطاق، فكيف اذن كلف المخالفين باتيان

١- الزمر: ٦٧.

٢- النساء: ٤٨.

٣- ص: ٦٩.

٤- الأحزاب: ٧٢.

٥- الحشر: ٢١.

عشر سور أو سورة واحدة^(١) مثل سور القرآن؟

٣٥ - جاء في الخبر إنَّ رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله - قال: اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بَعِينَ اللَّهِ. بينما لم يعرف آدم الشيطان ولم يعرف داود ولوط وإبراهيم ومريم - صلوات الله عليهم أجمعين - الملائكة، بل إنَّ رسول الله لم يعرف المنافقين حتَّى عَرَفَهُ اللهُ إِيَّاهُمْ. فكيف لم يتعرف هؤلاء المؤمنين على الملائكة بالفِرَاسَةِ؟

٣٦ - عاش أمير المؤمنين والحسن بن علي والحسين بن علي - عليهم الصلاة والسلام - في فترة واحدة، وكانوا أئمة، فهل كانت طاعتهم في زمن واحد واجبة، أم إنَّ طاعة بعضهم على البعض الآخر كانت لازمة؟

٣٧ - ما هو المراد في قول الإمام الصادق - عليه السلام -: ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل؟

٣٨ - ما هو المقصود بالقلم في الآية الكريمة: ﴿لَنْ نَقْلَمَ وَمَا يَشْطُرُونَ﴾^(٢) وهل أن القلم يكتب بنفسه أم أن غيره يكتب به؟ فإذا كان يكتب بنفسه فهو حي، وإذا كان غيره يكتب به فمن هو هذا «الغير»؟

٣٩ - هناك إجماع على أن الجنة خلقت من الذهب والفضة... وهي لا تُفنى... وأن الحجر الأسود نزل على الأرض من الجنة مع آدم، فكيف التهب بعد أن أحرقه القرمطي وتحطم...؟

٤٠ - ما هو المراد بالصراط المستقيم في الآية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣)، وأي صراط مستقيم موجود بعد الإسلام والقرآن؟

٤١ - إنَّ الله سبحانه وتعالى لا يجعل الغل والعداء في القلب، فما هو إذن معنى

١ - هود: ١٣ ﴿قُلْ قَاتُوا بِغَيْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ والبقرة: ٢٣ ﴿قَاتُوا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾.

٢ - القلم: ١.

٣ - الفاتحة: ٦.

الدعاء الوارد في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١)؟

٤٢- كيف يمكن الجمع بين الآية الكريمة التالية التي يُخاطَب بها النبي: ﴿لَوْلَا أَنْ

تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾^(٢) والآية الكريمة التالية التي يُهدد فيها النبي:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ...﴾^(٣)؟

٤٣- قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٤). ومن المعلوم

أنَّ هذا الارث أخذه المؤمنون عن الرسول في حياته، فهل يمكن للانسان أن

يرث الآخر في حياته؟ ثم يقول: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، فكيف يوصف

المصطفين بالظلم؟ وقال تعالى في آية أخرى: ﴿يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾^(٥) فمن

آية جهة يرثونها؟

٤٤- الشجرة التي حرمها الله تعالى على آدم^(٦) هي الحنطة، ومن المعلوم أن جسم

الإنسان يحتاج الى الغذاء، وقد حرم الله تعالى على آدم ما هو بحاجة إليه، ومن

هنا يتضح أن الله تعالى أراد إخراج آدم من الجنة فاضطره لارتكاب المعصية

لكي يخرج من الجنة، فهل يتفق هذا الأمر مع العدل الإلهي؟

٤٥- قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٧).

أولاً: الذرية غير مكلفة، فكيف تُخاطب؟

ثانياً: لماذا لا يتذكر أي انسان هذا الشيء؟

١- الحشر: ١٠.

٢- الإسراء: ٧٤.

٣- الأنفال: ٦٧.

٤- فاطر: ٣٢.

٥- المؤمنون: ١١.

٦- الأعراف: ١٩ - ٢٥.

٧- الأعراف: ١٧٢.

٤٦ - لو كان الرسول معصوماً فما معنى الآيات التي تخاطبه وتتضمن تهديداً ووعيداً؟

٤٧ - أمر الله تعالى نبيه بجهاد المنافقين في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(١)، ولكن لم يسجل لنا التاريخ أنه جاهد المنافقين، فما هو السبب؟

٤٨ - تُنبئ الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) عن أن الله تعالى لا يذل الرسول والمؤمنين يوم القيامة، فما وجه هذا الكلام حول المعصوم؟

٤٩ - حصلت بعد وفاة الرسول اختلافات كثيرة في أصول الدين وفروعها، حتى اختلف أيضاً في جمع القرآن الكريم، ولهذا وجدت مصاحف أبي بن كعب وابن مسعود وعثمان بن عفان وأمير المؤمنين - عليه السلام -، وبينما لم يمنع عثمان تداول مصحف أبي وابن مسعود، فلم لم يجعل أمير المؤمنين - عليه السلام - مصحفه الذي جمعه في متناول الأيدي؟

٥٠ - هل كانت رقية وزينب ابنتا رسول الله - صلى الله عليه وآله - أم ريبيته؟ فلو كانتا ابنتاه، فلم زوجهما من مشركين - أي أبي العاص بن الربيع وعتبة بن - لهب -، بينما لم يختار لفاطمة - سلام الله عليها - زوجاً حتى نزل أمر الله فيها؟

٥١ - لقد ردّ عمر بن عبدالعزيز ومأمون الرشيد فدك إلى أبناء فاطمة، فلم لم يردّها أمير المؤمنين - عليه السلام - أثناء خلافته الظاهرية إلى أبناء فاطمة - سلام الله عليها - مع أنه كان أتقى منهما وأكثر احتراماً بين الناس؟

١ - التوبة: ٧٣.

٢ - التحريم: ٨.